

التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



سندرة وجيتا

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

١٤٤٦/ ٢٠٢٤

جمال شاهين

التحقيق الجنائي والجريمة

سندرة وجيتـا

قصة جنائية





ماتيو باهر

ماتيو باهر شاب فوق الثلاثين من عمره وهو من أصول عربية ولد في روما من أم إيطالية تدعى ريتا غابرييل درس في جامعة إيطالية صحافة وإعلام اشتغل فيها بضع سنين ، ثم اهتم بالتجارة وترك الصحافة ، وكان يراسل ابن عمه آصف ساهر حول العودة للبلد التي خرج منها أبوه هاربا بسبب انتمائه لحزب سياسي معادي للدولة مع أن حزب الحكومة الحاكم وحزبه القومي الاشتراكي من نفس التيار القومي ، وكلاهما من الأحزاب التي ظهرت على الساحة العربية بعد التحرر من الاستعمار الأوروبي ؛ بل بعضها أنشئ في أواخر فترة الاستعمار برضا حكومات الاستعمار وبترخيص منها ، وقد قضى المهندس ثم المحامي باهر بضع سنين في سجن الوطن ، ولما لحقه عفو رئاسي بمناسبة وطنية ، هرب إلى أوروبا ثم استقر في إيطالية متخفيا ولاجئا سياسيا ومعاديا لنظام حكم وطنه ، حيث حكم عليه بعد الهرب بالسجن مدى الحياة ، وهناك التقى باشتراكي شيوعي إيطالي ومن الحزب الشيوعي الاشتراكي الإيطالي وانتمى لحزبه الشيوعي وتزوج ابنته ريتا غابرييل من حزب الاشتراكيين أيضا ، وتعمل في مجال الطيران ، التقى بها في سهرة بداية بعد استقراره في روما سنتين ، وتكرر اللقاء حتى حصل الزواج الرسمي بموافقة والدها الذي ضمه لحزبه ، وولدت له ساندرا وصوفيا وماتيو ، وفي منتصف الثمانينات مات باهر وتزوجت ريتا بعده من صديق باهر الإيطالي جيرو روفائيل وعضو الحزب الاشتراكي احد أحزاب إيطاليا ، وبعد وفاة الوالد باهر وزواج ريتا ، بدأ يستعد ماتيو بجد وقوة للعودة لأرض الوطن وزيادة نشاطه التجاري فيه ، فقد تعلق بابن عمه اصف الذي زاره عدة مرات نيابة عن العائلة ولتشجيعه على العودة للبلاد معلنا أن البلاد بحاجة للاستثمار والمال ، وهو لم يعلم أن والده من جنس العرب إلا بعد تجاوزه السنة العاشرة من الحياة ، وذلك لما بدأ والده يتواصل مع إخوته وأسرته ويستقبلهم في إيطاليا كضيوف وتجار، فتعرف على من زار البلاد وجاء بيت الأسرة ، وتعرف على بعض أعمامه وأبنائهم ، وهؤلاء يشجعونه على العودة للعيش بينهم ثم شارك ابن عمه اصف في بعض المشاريع بالأموال التي ورثها عن أبيه حيث

عمل مهندسا في احدى الشركات الكبيرة في إيطالية ، ولما تزوجت ريتا أخذ يشيع الخبر بين الرفاق والأصدقاء برغبته للعودة لجبل السوار حيث تعيش عائلته الكبيرة ، والرغبة بتجربة الحياة فيها وكان والده قبل هلاكه يشجعه على فعل ذلك ؛ ليتعرف على بلده وأقاربه ، فهو سيبقى في نظر الأوروبيين عربيا ولو لبس مثلهم واكل أكلهم وتخلق بصفاتهم وتعلم في مدارسهم ولغتهم واشتغل في بلدهم فالعنصرية الغربية ما زالت متغلغلة فيهم ، وكان عمه ساهر وأبناء عمه الآخرين يشجعونه على ذلك الانتقال ، ووعدهم بالمزيد من الاستثمار في بلده عندما يستقر فيها ، واكد له ابن عمه آصف صديقه الأكثر قربا منه انه ليس عليه عقوبات بسبب نشاط والده القديم في السياسة ومعاداة النظام الحاكم ، وكل إنسان مسئول عن أعماله ونشاطه أمام القانون والنظام القائم ، فاخبر أمه ريتا بهذه الرغبة وذكرها برغبة الوالد فلم تبد اعتراضا أو رفضا فهي منذ تزوجت جيرو ضعفت علاقتها الشخصية به وتخلت له عن بيت والده ، وهو شاب في منتصف العمر لا يحتاج لرعاية منها ، وكذلك أختاه لم تبديا رأيا رافضا في اختياره للعودة للبلد والزواج فيها اذا ارتاح للحياة معهم ، فشجعتاه على ذلك الانتقال حتى اذا رأتاه مرتاحا بين العائلة فكرتا بزيارة تعارف للأقارب .

قبل السفر دعا أمه وجيرو وخالته لارا ريكاردو ، خالته لارا طبيبة في مستشفى القاعدة العسكرية للناتو وزوجها أمريكي طيار عسكري عمل في القاعدة وتعرف عليها وتزوجها بعد قصة حب قصيرة واتخذا نابولي دار مقامة وهو في هذه الفترة متقاعد ويعمل كمستشار لشركة طيران خاصة ولارا عملت موظفة إدارية في المشفى الخاص في القاعدة وتمثل بلدها في الحلف والقاعدة ، فلما عزم ماتيو على السفر صنع حفلة عائلية فحضرتها امه واختاه وزوجيهما او صديقيهما وخالته لارا ، وكان ماتيو قد قدم لهما الطعام المجلوب من احد مطاعم المدينة وكانت الموسيقى تبث من جهاز خاص بالأسطوانات القديمة الذي ورثه عن أبيه والشراب يدور عليهم فقد اعتادوا على ذلك فقالت الطبيبة ساندرا ذات الست والثلاثين عاما : هل سيطول تجوالك في جبل السوار ؟

فالتفت إليها وقال : حسب الجو ؛ فاذا وجدت البلد مريحا للعيش والحياة سأستقر بينهم رغم طول عيشي هنا كما هو معلوم لكم

فقالت جيرو : هل ستتزوج من أقاربك كما تقول امك ؟

فقالت صوفيا المحامية : أترى بنات سوار اجمل من بنات روما؟ .. لليوم لم تتزوج أي فتاة

فقالت ريتا مبررة عدم زواج ابنها حتى ذلك الوقت : الزواج هنا معقد

فقالت لارا مستغربة جواب ريتا : كيف معقد ؟ .. الزواج زواج في كل بلدان العالم

فقالت ساندرا : هناك فروق يا خالتي .. هنا صعب استقرار الزواج يقولون الزواج في بلاد الشرق اكثر استقرارا

فقال زوجها صديقها أو عشيقها : إلى حد كبير ؛ لكن الطلاق عند اكثر الشعوب حتى الكاثوليك صاروا يطلقون

فقال صديق صوفيا : لذلك لا نتزوج على طريق الكنيسة فهي تعقد الزواج

فقالت لارا : آ ، يا ريتا ما المعقد في الزواج الإيطالي ؟

قالت : قبل لحظات قلتم الكنيسة تعقد الطلاق الكنسي فلذلك لا يرتبط الشباب بالنساء إلا بعد عمر خشية الطلاق الصعب وخشية اخذ نصف أموال البعض .. فها هي ساندرا وصوفيا تعيشان بدون زواج رسمي

قال زوج صوفيا : الرسمي يعقد العلاقة بين الرجل والمرأة .. اذا خانها صارت مشكلة واذا خانته تعقدت الأمور .. ولا حياة بدون غضب أو خروج عن المعتاد خاصة لما يفقد الشخص منا نفسه عند السكر والثمالة

قالت ساندرا : أيضا المشكلة يا خالتي في الأبناء فتضطر المرأة تحمل رعايتهم أو التخلص منهم بعد فشل الزواج أو العلاقة الخاصة

فقالت لارا : القضايا الاجتماعية فيها صعوبة في كل الأمم وليس في بلادنا .. اسمحوا لي بالانصراف وشكرا ماتيو وأتمنى لك التوفيق في جبل السوار ولا تنسى اذا أعجبك الجو في

الشرق الأوسط أن تدعوني أنا ومايكل بورمان (زوجها) لزيارتك ولما تتحدد ساعة السفر دعني أراك أنا ومايكل

ماتيو : سأفعل يا لارا

غادرت خالته مودعة الجميع فقالت صوفيا : لماذا لم يحضر زوجها ؟ تراه لا يحب الجلوس معنا

قالت ريتا مفسرة غيابه : خارج البلاد .. أظن أنه في أوسلو أو السويد .. هل ننصرف نحن يا جيرو ؟

قام جيرو وقال : نتمنى لك التوفيق مع أقاربك العرب.. ماتيو كان والدك العربي نعم الصديق لي ولوالد ريتا كان شجاعا ومغامرا لقد رافقته إلى أفريقيا مرة أو اكثر يا ريتا

فقالت : ذهب طرابلس للتعرف على اشتراكية ليبيا وبعض الدول المستقلة في وسط أفريقيا

ودعا ماتيو الذي شكرهم على حضورهم سهرة الوداع وهو يقول : لا استغني عن روما أو حتى إيطالية بعامة .. فهي مسقط رأسي كما يقال ولما يتحدد السفر نهائيا سامر عليكم جميعكم

قالت صوفيا : ألم تتحدث معنا مرة أو مرات انك ستتزوج فتاة سويدية ابنة ذاك الطبيب أو العالم السويدي صديق أبي نسيت اسمه

قالت ساندرا : هو طبيب جامعة وعالم محاضرات .. هو شيوعي متشدد مثل غابرييل والد أمي وخالتي أليس كذلك يا ماتيو ؟ هل ما زلت تتواصل معه ؟ لقد سمعت والدي ينصحك بألا تقطع صلتك به

قال زوج ساندرا : هل أنت محسوب على اليسار سيد ماتيو ؟

قال ماتيو : إلى حد ما ، ورثت ذلك عن أبي .. ولكنّ الشيوعية تعصف بها العواصف هذه الأيام ولكن ما زال الحزب الشيوعي الأكبر في روسيا يلملم جراحه وغدر غورباتشوف وزمرته

قالت صوفيا : هل تركت الزواج من بنت الدكتور السويدي ؟

ـ الدكتور جوزيف هوفمان .. وابنته بالتبني لورا .. لم اعد افكر فيها كزوجة سأتزوج من وطن أبي .. لرغبة أبينا .. ولعله يأتي قريبا للقاء بي قبل سفري كما اخبر في اتصاله من أيام

الوطن

وجد ترحيبا كبيرا من أقاربه في قرار العودة للوطن الذي لم يره منذ وجد على هذه البسيطة ، وقد استمرت المراسلات لهذا السبب اكثر من عشرة شهور بينهم ، وقد زاره عدد من أبناء العمومة ووافق على زيارة ليتعرف على مدينة أبيه وأعمامه في جبل السوار ، وهبط في مطار المدينة ، فمدينة سوار مدينة محاطة بالجبال الشاهقة إلا من جهة اتصالها بالبحر وهو الذي يصلها بالمدن الأخرى من البلاد الواسعة ، وسريعا تعرف على أبناء عميه ساهر وماهر اصف ساهر براق ماهر وبناتهم القاطنات في المدينة أو العزباوات وغيرهم ، وكان أول الوصول ليلا فنزل في فندق تم الحجز له فيه ، واتفقوا أن يذهب قبل ظهيرة الغد الأحد إلى بيت العم ساهر ليلتقي بعدد من الأقارب وبعد التعارف الذي اعجبه منهم ، سينتقل لشقة خاصة تم استئجارها لشخصه من قبل اصف ساهر في الحي الأجنبي ويغلب على سكانه الطليان كما طلب منه ، حيث كان قد شاركه ببعض المال من سنوات ، واذا رغب بالعيش واستقر في جبل السوار سيساهم بمزيد من ثروته معه عدا مشاريعه الخاصة .

بعد لقاء الأقارب والترحيب الكبير الذي لقيه منهم سره ذلك واسعد قلبه حتى أنه كتب لأمه وأختيه بحفاوة الاستقبال والترحيب الذي لقيه من أفراد العائلة الصغير والكبير الذكر والأنثى فهم خاصة الكبار يرون فيه رائحة أبيه باهر الذي هرب من البلد من عقود ولم يرجع إليها منذ خرج منها وعاش في الغرب ومات في إيطاليا غريبا ولولا السجن لتزوج منهم فكانت عينه على ابنة عمه جودر الآنسة داليا ولما خرج من السجن كانت متزوجة ولديها طفلان ، وبعد الاحتفاء ساقه اصف إلى الشقة المستأجرة في حي راق اسمه حي الأزهار واغلب سكانه من ذوي الجنسيات الأجنبية من تابعي السفارات ومراكز الثقافة الغربية وأثرياء من البلد ، وكانت هناك فيلا على الطراز الأوروبي خاصة الإيطالي قد ينتقل إليها اذا عقدت صفقة امتلاكها ويترك الشقة المؤقتة واذا قرر الحياة في البلد تحقيقا لرغبة أبيه قبل موته في منتصف الثمانينات ، وهذا البيت على حسب مواصفات ماتيو باهر عبارة عن فيلا على الطراز الأوروبي ، وبعد حين لم

يطل زاد مشاركته في مشاريع اصف ، ثم امتلك وكالة ومعرض سيارات إيطالية خاص به ، وكان قد رتب أمور وكالة السيارات قبل سفره إلى السوار وخلال اشهر كان المعرض قد تم فتحه في اشهر شارع في الحي الأجنبي شارع نابليون قرب المركز الثقافي الفرنسي ، وما كادت تمضي السنة ١٩٩٣ حتى رحل للفيلا التي امتلكها في شارع قيصر واختار المكث في البلد وحتى أنه اصبح معروفا لدى التجار الكبار وتجار السيارات من البلدان المتنوعة وكذلك المصانع؛ وذلك بسبب ابن عمه آصف خاصة وعائلته المنتشرة في جبل السوار وغيرها من مدن البلاد ، وعرف بمعرض السيارات الإيطالية اكثر من تجارته المتنوعة مع ابن عمه ، ومن اهم ماركات السيارات الإيطالية فيات ومنها فيات تيبو ألفا روميو (ريمو) تتعدد طرازات ألفا روميو بين السيارات الرياضية والعائلية ، مازيراتي ،لامبورجيني ، فيراري الشهيرة والرياضية ، ومن خلال وكالة ماتيو للسيارات الإيطالية تعرف على شباب وشابات من الجاليات الأوربية العاملين في البعثات الأوروبية أو المستثمرين الأجانب وتقوت علاقته بأبناء الجالية الإيطالية لكونه نصف إيطالي ويتقن اللسان الطلياني مثلهم ؛ فكان يدعى لحفلاتهم وأماكن لهوهم ومطاعهم الخاصة ومقاهيهم وحاناتهم ونواديهم ومراقصهم ، فالأجانب لا يشعرون انهم في بلاد أجنبية إلا اذا خرجوا من أحيائهم الخاصة ويختلطون بأبناء البلاد الأصليين وفي الأسواق الكبيرة في البلاد ، وتعرف على مجموعة من موظفي المركز الثقافي الإيطالي المهتمين بنشر الثقافة الإيطالية التاريخية والمعاصرة في جبل السوار فيدعونه لمشاهدة مسرحهم وحفلاتهم الموسيقية والثقافية ؛ فظن نفسه كأنه ما زال في يسكن روما ، وكان يشترون السيارات من متجره أو يبيعونها عن طريقه أو يستبدلونها ، وكان بيته الذي انتقل اليه بعد ترك الشقة في شارع قيصر محفلا لسهراتهم ومجونهم ومتعتهم الدنيوية فكان ليلهم سهر وبهجة وخمر وحشيش توفرها لهم فتاة تعمل في السفارة الإيطالية في كل سفرة تقوم بها لبلدها لعمل خاص للسفارة أو السفير فبعض السفراء الأجانب مساكنهم في نفس الحي وبعضهم في نفس حي السفارات حيث السفارة وقربه بيت السفير لأن السفارة كما معلوم تعتبر أرضا لبلد ووطن السفارة ، فليلهم سهر ولهو ، ونهارهم عمل أو قل

ساعات من العمل فتراهم أعضاء في النوادي الرياضية والمسابح ونوادي السيارات للسباق وما شابهه ، وكان يعمل معه في الشركة سكرتيرة تتقن اللغة الإنجليزية وفرها له ابن عمه اصف الذي لم يغب عن بعض سهرات ماتيو في الفيلا أو أماكن يحجزها للسهر على حسابه الخاص في المطاعم والنوادي الليلية فقال اصف : يبدو انه لم يتغير عليك شيء يا ماتيو ؟

فيضحك ويقول مسرورا : كلما اجلس مثل هذه الجلسة أظن نفسي في ملاهي روما .. أنا أحببت هذه الأحياء حتى لا اشعر بغربتي في بلاد أبي .. العمر مضى نصفه في إيطاليا

ـ كان اختيارك موفق

ـ كيف أنت والأجانب ؟

ـ لم اكن أطيقهم قبل مخالطتي لرعايا بلدك .. لطفاء بالجمل.. اللغة بيني وبينهم مشكلة .. فاضحك على ضحكهم دون أن افهم سبب القهقهة أو النكتة ؛ لكني مع الوقت بدأت افهم بعض أفكارهم .. أنا احسن الإنجليزية إلى حد كبير

تأمل ماتيو كلام اصف وقال : نعم اللسان مشكلة ؛ لكنك مع الوقت ستعرف الكثير من مصطلحات الطليان.. أين كنت تسهر قبل مجيئ للبلد؟

صمت مفكرا ثم قال متنهدا : قبل سنوات كنت زبونا دائما على المقاهي في قلب المدينة أو في حيينا حي جبران .. كانت قهوة الوسط محببة لي فكثير من الطلاب يجلسون فيها للعب الورق أو مشاهدة المباريات المحلية المبثوثة في التلفزيون المحلي .. وارتدت غيرها .. بعد الجامعة قلّ ذهابي للمقاهي والسينما .. صرت اسهر في نوادي التجار الخاصة .. واحيانا وما زلت اذهب إلى نادي الغرفة التجارية حيث نلتقي مع رؤساء الغرف التجارية على مستوى مدن جبل السوار كلها أو العمال نلتقي لتبادل الأخبار والصفقات والبضائع الجديدة والمحدثة .. وهناك نادي العائلة والأقارب حيث مقر جمعية العائلة الاجتماعية وحفلات الأعراس والتعازي

ـ أتذكر اني ذهبت ورافقتك مرات للجمعية لم افهم لم التقيتم في احدى المرات !

ابتسم اصف ووضح سبب الاجتماع تلك الليلة : يومها كان هناك شاب من أهلنا وفرد من

العائلة ارتكب حادث سير مع عائلة أخرى فكان لقاء تشاور للتصالح مع عائلة المدعوس والمساعدة في تكاليف العلاج فهي مرتفعة ؛لأن التأمين يدفع نسبة بسيطة في العلاج .. لا يدفع كل التكاليف وهذا عرف في البلد كلها .. وأنت كما قلت لك ساهمت عني وعنك ..فقد كان والدك المرحوم يساهم في ذلك حتى وهو في إيطاليا

عقب ماتيو : اذكر أن أبي كان يتحدث عن ذلك التعاون والتكافل الأسري ؛ وربما كنت أنا احول المال لوالدك .. ولم أكن افهم لماذا بالضبط؟ .. هذا مثل نظام الدية في الإسلام

ضحك اصف : وكيف تعرف نظام الدية في الإسلام ؟

ـ سمعته من زبون تعرض بسيارته لحادث وذكر الدية والتعويض المطلوب منه وذكر أن العشيرة التي ينتمي إليها ستساهم في التعويض وحدثني يومها عن الدية فتذكرت اجتماعي معكم في موضوع مشابه

ـ نعم هو عرف متعارف عليه في العائلات الصغيرة والكبيرة .

***

ولا يكاد الشاب يحضر مجلسا لأقاربه أو حفلا كعرس أو غيره إلا رغب بالزواج من بنات العائلة ليستقيم لسانه العربي ؛ ليندمج فعليا بالأقارب ولا يشعر بالغربة والبعد عنهم ،ويظل يعتذر عن الزواج من بنات العائلة أو غيرها ؛ لأنه لا يضمن بقاؤه مخلصا على أنثى واحدة ؛ وهو قد تعود على التنقل بين البنات والنساء في أوروبا وفرنسا ؛ حيث كان كلما يزور باريس ومارسليا وليون وأمستردام على عادة الكثير من شباب الغرب يمارس الزنا أو هم يسمونه المواعدة أو ممارسة الجنس ، وله علاقات جنسية مع بنات الملاهي أو الليل في أنحاء متفرقة من العالم ، وظل هذا التمتع والتنقل طبعا فيه ، فهو لا يعتبر عيبا وسيئا وقبحا في مجتمعاتهم المدنية الغربية .. المهم رضا الطرفين على ممارسته على طريقة بغاء الجاهلية ونساء الرايات ، واذا لم يكن بالرضا والاتفاق يكون اغتصابا يستوجب العقاب القانوي ، وكذلك يلجئون إليه حتى لا يتحمل الشباب مسئولية الزواج والأطفال والعلاج والواجبات الاجتماعية ؛ فقد كانت أوروبا وغيرها تعيش في وحل الرذيلة والإباحية الجنسية ، حتى مضت ١٩٩٤ السنة الثانية في البلاد ، وقد تعرف على معالمها وطبيعة شعبها وعاداتهم ؛ لأن عاداته كانت أوروبية بحكم أمه الإيطالية ومولده في روما وحياته طفلا ومراهقا وشابا فيها ، وأنه تعرف على عربية والده لما بلغ العاشرة من السنوات بسبب حياة والده المتخفية عن الأحياء التي يسكنها العرب حتى انه كان يعيش في حي فيه كثير من يهود إيطاليا ، وسكن في حي الأزهار الشبيه بأحياء أوروبا ، فتجد المراقص والحانات والخمارات والأزياء الأوربية ؛ كأنك في قلب برلين ولندن وباريس ، وهذا كله بسبب الغزو الثقافي والاستعماري الغربي وبقاء أذنابه والعائلات التي تعاونت مع الاستعمار وتأقلمت في خدمته وظلت مصالحها مرتبطة بهم فحتى رطانتهم برطانة المستعمر وكما قيل عن شغف تقليد الضعيف للقوي .

كان ماتيو وابن عمه المقرب آصف والشريك مغربا في وسط المدينة للقاء احد التجار في مقهى الشمس حيث يجلس الناس فيه للسمر وشرب المشروبات من الشاي والقهوة والعصير

والدردشة والتدخين ولا يوجد فيه لعب أوراق اللعب والقمار ، وكل رواده من رجال الأعمال خاصة التجار والصناع وذلك في شتاء ١٩٩٥ وقبل مجيء التاجر المنتظر جزواني للتحدث عن صفقة بضائع من الهند تحدث مع ابن عمه اصف عن رغبته بترك بنات الهوى والبارات والزواج من فتاة لا تمت للعائلة بصلة حتى اذا فشل الزواج وحصل الطلاق لا يسبب حرجا في الأسرة ونزاعات وفرقة ، فرحب اصف بالفكرة وارتاح لها بدوره ، وشجعه على هذا الاختيار وتفهم وجهة نظره فقال مفكرا بأخلاق ابن عمه : وهل تستطيع ترك عادات تعودت عليها كل هذه الأوقات ؟

ـ من اجل ذلك قلت لنفسي أن أتزوج امرأة بعيدة عن العائلة حتى لا أسبب نزاعا وشقاقا في العائلة اذا لم انجح في الزواج .. وهذا وارد ؛ لأنني قد لا انجح في ترك اللهو واللعب مع بنات الليل وغيرهن

قال اصف : هذا أنا متأكد أنه سيحصل .. أنا خير من عرفك يا ابن عمي لقد عاشرتك في روما وغيرها .. فالخلاص من النساء ليس سهلا .. ولقد سمعتك تتحدث عن رحلات لفرنسا والسويد لإقامة علاقات جنسية مع صديقات التقيت بهن من خلال السياحة والتجارة .. علاقاتك عجيبة .. الأفضل يا ابن العم أن لا تفكر بالارتباط من قريبة أو بعيدة

فسر سبب رغبته بالزواج : انني اذهب للقاءات وحفلات خاصة مع هؤلاء الأجانب كما تسمونهم أتحرج من عدم وجود أنثى معي .. الكل ينظر إليّ باستغراب وارتياب خاصة الذين لا اعرفهم معرفة عميقة ؛ إنما جئت برفقة شخص معروف لديهم .. فتراهم يخشون مني على بناتهم وزوجاتهم وصديقاتهم .. فلذلك مرات اضطر لأخذ فتاة من المعارف لحضور تلك الحفلة أو السفرة .. فالحفلة مع الأصدقاء ليست كالحفلة الكبيرة .. وحتى يا اصف العزيز لما نزور القريبات ولو بصحبتك اشعر بالحرج ، وهن يشعرن بذلك يا اصف وأنت كذا مرة شاركتني الحرج ؛ لعلك تذكر لما زرنا بنت عم أبي جودر السيدة داليا وذكرت أنها كانت ستتزوج أبي باهر لولا حبسه عشرة سنوات

ضحك اصف : فعلا كان موقفا مربكا فعلا وعجزنا عن الحديث أمام زوجها الدكتور بلال احمد .. هو فعلا هناك مواقف ولقاءات يحتاج المرء فيها لصحبة زوجته أو ابنته أو حتى أمه

فقال : فلابد يا صاحبي من زوجة ولو كمنظر ، وفي نفس الحين لا تنزعج من مغامراتي وسهراتي ونزواتي .. فأريد زوجة تتقبل مثل هذه المفاسد وتصمت وتغض الطرف ولا تكبر القصة .. ها هو صاحبنا جزواني اقبل .

تقدم من طاولتهما جزواني وصافحهما وقبلهما ولما استند للكرسي وأشار للنادل الذي تقدم إلى الطاولة ملبيا فطلب نارجيلة وشايا كبيرا للجميع ، وبعد حديث عن الطقس والأحوال دخلوا في موضوع التجارة والبضاعة الهندية فقال اصف : هذا ابن عمي وشريكي ماتيو باهر

ـ التقينا من قبل أبا سمور مرحبا أستاذ ماتيو وابن عم السيد اصف أبو سمور الشطور

قال ماتيو ومبينا حضوره : مرحبا .. احب اصف ساهر أن اسمع تفاصيل هذه الصفقة

قال اصف : هات ما عندك

ـ انتظر .. ها قد وصلت النارجيلة

وضعها عامل الأراجيل أو النارجيل ووضع الفحم والتبغ الخاص بها ووضع قليلا من البانجو الحشيش فقال اصف ضاحكا : هو يعرف الواجب يا جزواني مسموح التحشيش هنا

ـ زبون دائم شكرا ملاط

وتناول ملاط ما دفع له وانصرف ، وقبل أن يعود الحديث حضر الشاي الأسود لجزواني والمتوسط اللون للشابين اصف وماتيو ولما بدأ العزف على النرجيلة ورشف الشاي بدأ الحديث عن الصفقة والبضاعة التي ستأتي من بلاد الهند

قال جزواني شارحا : سأستورد كمية كبيرة من الأرز الهندي واللحوم الهندية والأدوية وانتم لا تتعاملون مع الأدوية شراء وتوزيعا .. وحتى لا احتاج لفترة تخزين طويلة للكمية المستوردة سأرتب بيعها فور وصولها الميناء من الميناء إلى مخازن التجار أحبابنا.. فذكرت لك الأمر على تلفون المتجر فأبديت القبول بالعرض

ـ كلها أرز ولحوم وأدوية

قال : هذه أهمها .. وهناك أنواع أخرى من البهارات الهندية ؛ ولكنها بكميات تحتمل التخزين

ـ الرز كم نوع ؟

ـ اكثر من خمسة أنواع من مناطق عدة من القارة الهندية

ـ وتضمن صلاحها اذا نقلت من الميناء لمخازننا

ـ أي بضاعة مضروبة اقبل عودتها لمخازني يا سيد أبا سمور

ـ كم يمكنني اخذ من الأطنان ؟

ـ كما ترغب .. فالكمية كبيرة والباخرة على وشك الوصول للبحر المحلي خلال أيام

***

بعد الاتفاق المبدئي مع التاجر جزواني على شراء البضاعة ودعوه قبل منتصف الليل بساعة وقبل الانصراف همس في أذن اصف " لديّ عروس كنتم تتحدثون عن عروس " ضحك اصف وتابعا الخروج من مقهى التجار وبحثا عن مطعم لتناول وجبة العشاء وخلال وجودهما في المطعم تابعا حديث زواج ماتيو ابن الخمس والثلاثين سنة وعرض عليه أصف أخت رفيق له ، وكانت كما روى أخت صديقه الطبيب جلال نصر ، وقد التقى الطبيب جلال بماتيو عددا من المرات أثناء سهراتهم في النوادي الليلية والملاهي وقد ذكر جلال لاصف عن أخته بموضوع زواجها منذ اكثر من سنة إن تحدث معه احدهم عن عروس وزوجة ، ثم ذكر له أن هناك بنت تاجر يتعاملون معه اسمه باصل سيدو وهو معروف لماتيو أيضا ، وقال بعد حوار حول العروستين بمزيد من المعرفة : نبدأ بالآنسة حلا نصر أخت جلال وهي طبيبة مثل شقيقها عم جلال ، تعمل في مستشفى خاص ، تزوجت فترة ثم تركت زوجها لخيانته لها

ضحك ماتيو لسبب الطلاق وهو يمسح فمه بمنديل ورقي أمامه : وهل تقبل بي وقد أخونها أنا أيضا يا اصف ؟ فهل تظن أنني سأترك الحسان بالزواج مائة بالمائة .. من الصعب أن يتخلى المرء عن العادات ولو كانت هنا مقبوحة .. فالزواج سيكون لديّ شكلي يا ابن عمي ديكور كما

تقولون .. ونساء بلادكم اقل خيانة من بنات روما خاصة .. هناك في الغالب فكرة الزواج تأتي متأخرة لتعقيدات الطلاق والثروة والمشاركة فيها

قال اصف مضيفا عن سبب طلاقها : القضية ليست الخيانة .. هو خانها علنا واخبرها بذلك .. إغاظة لها .. لم يشرح لي جلال التفصيل للموقف والمناكفة أو التياسة ..الخيانة في بلادنا قد تقبلها بعض النساء وتغض الطرف عنها اذا كانت سرا ولم تنتشر وتصبح فضيحة بين نساء العائلة .. فنساء النوادي والملاهي الليلة لا يسألن عن شرف أو كرامة .. ففي المجتمع المخملي حتى لو كان عربيا يغضون الطرف عن العلاقات العابرة حتى لو حدثت الفاحشة .. الناس حسب البيئة التي يعيشون فيها يا ماتيو فهؤلاء الناس لا يعرفون الدين وغض البصر مثل الأحياء المحافظة كما يقال .. ففي هذه المجتمعات المتغربة قد تكون المرأة اغنى من زوجها وقد يكون موظفا في شركتها أو شركة أبيها أو أمها أي الزوج مجرد ديكور

ضحك ماتيو وقال : فهمت عليك والثانية تحدثني عنها بعد أن نركب السيارة

نهضا عن المائدة بعد تناولهما الشاي ولما جلسا في سيارة اصف قال ماتيو : والثانية ابنة التاجر باصل .

ـ ابنة باصل لم تتزوج رغم أنها زادت عن الثلاثين بسبب أنها أحبت ابن عم لها ولما اقترب موعد تخرجها من الجامعة تزوج صاحبتها فتألمت جدا وكادت تنتحر من خيانته لها

قال : وماذا درست ؟

ـ درست هندسة أي تعمل مهندسة

قال : وماذا تعمل الآن ؟

ـ تشتغل كما قلت مهندسة في شركة مقاولات كبرى درجة أولى ووالدها يرغب بان تتزوج رغم رفضها ويرى انها اذا وجدت من يتقدم لها بحق ستلين

قال مفكرا : وما سبب اختيارك لهن وبهذه السرعة ؟

ـ الحديث يذكر بعضه بعضا عندما نجلس مع الصحاب يكثر الحديث عن السياسة وأحوال

البلاد والعالم ، ثم ننتقل إلى الأخبار الاجتماعية من زواج وطلاق واخت فلان وبنت فلان .. قصص ..السبب يا ابن عمي .. الأولى حدثني عنها شقيقها جلال بحكم الصحبة وبحكم العلاج في عيادته الخاصة لي وللأسرة فجرى الحديث اكثر من مرة عن زواج شقيقته ورغبته بتزويجها ، والثانية كذلك والدها قال لي : اذا لديك عريس للبنت يا أبا سمور وذكر لي سبب عنوستها .. هذا سبب ذكرهن الآن

صفن ماتيو للحظات ثم قال : سأفكر .. وأنا كانت رغبتي بالزواج من صحفية أو من تشتغل بالإعلام الورقي أو السمعي أو المرئي .. فأنا اشتغلت في الصحافة وبعض المحطات الإذاعية المحلية في روما وغيرها وفكرت بالزواج من هذه الفئة قبل مجيئ لبلادكم والسبب في هذا الاختيار أن من يعمل في هذا القطاع يتغيب عن البيت لأداء العمل

ـ فهمت عليك المرأة في العمل وماتيو مع عشيقاته

ضحك وقال : يعني .. لو تأخرت في السهر واللهو لا احد رأى ولا احد درى

ـ نصيحتي ابق كما أنت .. فالزواج مسئولية

ـ على رأي الفيلسوف القديم شر لابد منه .. نسيت اسمه قال المرأة شر لابد منه

ـ صدق لي أصدقاء في هذا القطاع .. رغم ما نكتب وننشر من إعلانات في وسائل الإعلام لم التق بواحدة منهن سأجدد اللقاء بهم ؛ لعل احدهم يرشدنا لفتاة منهن .. لكن الصحفية قد لا يكون لها دوام ثابت يا ماتيو

قال : هو الأفضل وهو المطلوب حتى يتحرك الشخص في حرية ويسهر في حرية .. أنت تعلم نهارنا عمل وتجارة ومقابلات وليلنا كيف وحب وشراب .. المسلمون يحرمون الخمر كما اعلم .. ولكن الكثير من رفاقنا يسكرون مثلنا

ـ السكر محرم عند الفقراء والشيوخ .. وأنا فهمت عليك

نزل ماتيو على باب الفيلا ودعا ابن عمه للدخول والمبيت فقال : تعبت النهار .. هل تعلم أن جزواني عرض عليّ عروسا كأنه سمع حديثنا عندما اقبل علينا

ـ لا ، لا .. عندما ذهبت للمرحاض سألني عما كنا نتحدث قبل دخوله فقلت له ذلك

ـ آ .. هذا الرجل فضولي ؛ ولكنه زميل مهنة شجاع ومغامر بمثل هذه الصفقات الضخمة .. سأتصل به واستعلم عن عروسه ونضيفها للقائمة ؛ لعل لديه صحفية فهو ذو علاقات مع التلفزيون والإعلانات المرئية

***

بينما اصف يجلس في مكتبه في سوق المواد التموينية حيث اكبر مكان يبيع فيه رن الهاتف فقال له موظف : المعلم جزواني على الخط

فظن للوهلة الأولى أن الباخرة الهندية دخلت الميناء فتناول الهاتف : أهلا بالمعلم الكبير وصلت الباخرة

سمع ضحكة قصيرة ورد : لا ، لم تصل بعد .. إنما موضوع زواج ابن عمك الختيار

تنهد وضحك هو الآخر وأجاب : لا ، يا رجل ! بعده شباب هو من جيلي .. هل وجدت العروس بهذه السرعة ؟

ـ العروس التي عرضتها عليك قبلا لا تعمل في الصحافة والإذاعة .. لكنك لم ذكرت أنكم ترغبون بصحفية تذكرت المحامية كلف التي احتجتها أنت في عدة قضايا فاذكر أنني التقيت بأخت لها شبه عانس تعمل في الإعلام العسكري وإذاعة العسكر عرضتها على ابن لي كان يبحث عن عروس وصدف أن فتح الموضوع في مكتبها وذلك من شهور قليلة

ـ تذكرتها هي المحامية رندة وزوجها باركر محامي أيضا أو رأس في القانون من عيلة كلف وما زلت على علاقة قانونية معهم .. تذكرت الآن أختها سندرة .. نعم لها أخت صحفية تعمل في الإعلام العسكري اسمها سندرة كلف .. نعم لها أخت صحفية وعزباء اذكرها جيدا وهل تعلم أن ماتيو قد يتذكرها ، أرسلتها مرة لتشتري سيارة من شركته أرسلتها المحامية لي لما علمت أن ابن عمي يبيع سيارات إيطالية والمانية واعتقد أنها اشترت سيارة من شركته

ـ جيد أنا صارحت المحامية بموضوع ماتيو ابن عمك ذي النصف الإيطالي وقالت دع أبو

سمور يناقش الموضوع معي

ـ شكرا سيدي جزواني .. بيننا شغل يا معلم بارك الله فيك

اغلق الخط واتصل بمكتب ماتيو ولم يكن في المكتب فطلب من السكرتيرة أن تخبره باتصالي

واخذ يتذكر تلك الصحفية وشكلها وهيئتها فقد زارته مع أختها في مكتبه هذا ليشفع لها بامتلاك سيارة من شركة ماتيو للسيارات الإيطالية والحصول على بعض الخصم .

***

لما دخل ماتيو عصرا الشركة قال له موظف يقف على الباب : اتصل ابن عمك اصف

ـ متى ؟

قال الموظف العامل : قبل الظهر بقليل

شكره ودخل مكتبه وحيا سكرتيرته ميلاد قائلا : ماذا يريد اصف ؟

قالت : لم يقل شيئا طلبك فقط فقلت له إنك في خارج الشركة وطلب أن تتصل به فور وصولك

ـ حسنا اضربي رقم مكتب التجارة شركة اصف للمواد التموينية اعتقد سيكون هناك

ضربت الرقم الذي تحفظه غيبا لكثرة ما تستخدمه لسيد الشركة ثم قالت : ها هو على الخط

هز رأسه شاكرا وقال : نعم صديقي آصف

ـ موضوع العروس اتصلت بجزواني تاجر الجملة الكبير في شأن العروس ثم اخبرني عن عروس نعرفها انا وانت .

ـ آ .. ما عنده ؟

ـ عنده عروس كما تخبر فذكرت له رغبتك فقال : عندي قرابة تعمل صحفية لكنها قريبة من الثلاثين وذكرني بها وبأختها المحامية وزوجها وبيننا قضايا لدى مكتبهم

قال متأملا : عزباء

ـ واذا لم تكن عزباء كيف ستكون عروسا ..اشترت من معرضك سيارة

قال : كيف ؟!

ـ أنا أرسلتها عليك اسمها سندرة كلف ولم اكن اعرف أنها إعلامية إلا اليوم

فكر باسم سندرة وهتف : تذكرتها ، لم تعرف على نفسها بإعلامية عرفتني على نفسها بضابط في الجيش

ـ نعم ، هي تحمل رتبة عسكرية ، وهي قريب من الثلاثين وعزباء كما علمت منها أثناء حديث قصير بيننا .. ثم أرسلتها إليك فأنا اعرف بعض أفراد أسرتها .. لها أخت محامية احتجتها مرة في قضية قبل مجيئك إلينا والى وطنك .. وهي التي أرسلتها لي لأخذ توصية لحضرتك

ضحك ماتيو وقال : أهلي هنا أهل أبي فقط .. ولا احس بأنه وطني يا أبا سمور لليوم .. ولا حتى إيطاليا .. أنا تائه .. يبدو أن انقسامي لبلدين يجعلني لا احس بالوطنية لاحدهما أو كلاهما .. تذكرتها جيدا .. هي واختها .. وأول ما قالت لما تصافحنا أرسلني ابن عمك أبو سمور .. بما أنني رأيتها وكانت لطيفة وتحب المزح ؛ كانت في الشركة كأننا نعرف بعضنا من قرن .. فهذا سر تلك الجرأة التي ظهرت منها.. الصحافة والإعلام .. فلنبدأ بها ما رأيك ؟ فهذه إن قبلت مناسبة كمشروع زواج أمام الأقارب والناس ؛ لأنه سيكون لديها مناوبات ليلية على ما اعتقد .. فستراني آخذ راحتي بسهرات الليل في النوادي الليلية والمراقص ولا تتذمر وتشتكي

***

كانا يسهران في مقهى إيطالي في جبل السوار الحي الإيطالي حيث تغلب على الحي جالية إيطالية ومن بعض دول أوروبا الغربية وكان بصحبتهم ثلاث شبان طليان وامرأة تعمل في سفارة بلدهم ينادونها فرجينيا وهي صديقة احدهم ، وهؤلاء توماسو وفرانك وجون قد التقى بهم اصف من قبل في نفس المكان حيث يفضلونه على غيره من الأماكن الإيطالية حيث الطعام والشراب والرقص والغناء الإيطالي ، وطلب لهم ماتيو مشروبات إيطالية قليلة الكحول ، ودار بينهم حديث عن رغبة ماتيو بالزواج من فتاة عربية من أهل البلاد ، وذكر لهم الفتيات التي تحدث عنها اصف فبعضهم شجعه على الزواج من الطبيبة وآخر رجح بنت التاجر المهندسة ، والفتاة فرجينيا رغبته باختيار الصحفية التي تعمل في جهاز الإعلام العسكري ؛ لأنها ستتقبل مثل هذه السهرات بسهولة لتصيد الأخبار واللقاء برجال الأعمال والأخبار ، لأن الكثير ممن يعمل في الإعلام يحضر مثل هذه اللقاءات والسهرات للطش الأخبار الخاصة فقال لهم ممتنا : أنا هواي نحوها وفكرت بما أشرتم له .. وانا عملت إذاعيا وكاتبا صحفيا قبل اعتزال ذلك .. لكن لا ادري هل تقبل برجل مثلي نصفه إيطالي وصاحب كأس كما يقال هنا ؟

قهقهوا فقال اصف وهو يضع كأسه فارغا : نحن نرى رأيها لا زواج بالإجبار اليوم في بلادنا كما عندكم .. علينا أن نتصل بها .. ثم نتعرف على أهلها قد يقبلوا وقد يرفضون بحكم انك اجنبي بعد ..وسأتحدث مع المحامية أختها رندة صديقتنا أولا وأرى قولها في زواج منك وكذلك مع زوج رندا فهو دكتور قانون تعرفت عليه من خلال رندة

تنقل الكلام بينهم عن الزواج في مختلف البلدان المعروفة لهم حتى عاد الحديث لماتيو للحديث عن الإعلامية سندرة مقررا : ما دامت قد رجحت كفتها يا اصف فلنبدأ بها .. فاذا رفضت نبحث عن إعلامية مدنية قبل العرض على ابنة صاحبك وأخت التاجر

قال اصف : حسن اطلب مزيدا من الشراب .. سأسعى للاتصال بشقيقتها أو بها عن طريق رندة المحامية واذا وافقت على اللقاء بك سنحدد موعدا زمانا ومكانا

واخرج سيجارة حشيش قد دفعتها له فرجينيا مزودتهم به في مثل هذه اللقاءات سرا فقال احد الشباب : من أين ؟

ضحك ونظر لفرجينيا وقال اصف : علمت أنكم تستوردون الحشيش من إيطاليا .. أنا أتزود به من عدة مصادر .. تعلمته من ماتيو أثناء زيارتي لماتيو في بلادكم .. ولما استقر بيننا بين أهله وأعمامه يتفضل عليّ بين الحين والآخر

فالتفتوا لفتاة السفارة وقال ماتيو مؤكدا ما هو معروف لهم : فرجينيا تؤمن لنا بعضها بصفتها تعمل في سفارة بلادنا الإيطالية

فقال اصف : تهريب !

قالت فرجينيا : لا ، لست مهربة يرسلها لي بعض الرفاق عن طريق حقيبة السفارة الخاصة بي .. فحقائب السفارة تمر عن الجمارك بدون تفتيش .. حيث اذهب كثيرا لوزارة الخارجية بمراسلات خاصة واجلب معي مراسلات خاصة للسفير وامن السفارة وغيرهم .

ماتيو مضيفا كخبير : مسموح بإدخالها فهي كمية غير قابلة للتجارة ، وهي تعطي هؤلاء منها .. عليكم بدعوتنا لحفلة تحشيش في شقة توماسو صديقك المفضل فرجينيا

رحب توماسو بذلك وبالفكرة وقال : عندما تجلب فرجينيا شيئا منها مجددا يستحق الاحتفال نجتمع في البيت أو في منزل فرانك ؛ لأن أبي أحيانا يكون في البيت لا يكون خارج البيت دائما

رحب فرانك هو الآخر بالفكرة وقال أنا مستعد وقد تكون معنا صديقتي كاميليا

قال ماتيو : هل جاءت من إيطاليا ؟!

قالت فرجينيا : عادت مع والديها بسلام .. ألا ترى فرانك سعيدا ؟

قال ماتيو : كم لها هناك يا فرانك ؟

قال فرانك : ست أو سبع اشهر .. لقد مرض أبوها الدكتور وخضع لعملية قلب حتى تعافى

قال جون : الحقيقة أننا اشتقنا لها لم تخبرني شقيقتي

قال فرانك : دعوتها لهذه السهرة للترحيب بها فقالت لابد أن نستريح بضعة أيام حتى يذهب

التعب والإرهاق

قال ماتيو : هل نزورها يا فرانك ونطمئن على أبيها الدكتور ماركو ؟ أنا ظننت انه استقال من المستشفى الإيطالي وعادوا للبلد بسبب طول الغياب كما بدا لي

قال فرانك : تعرض لتعب في الصدر فسافر للعلاج في بلده .. وكاميليا موظفة معنا في المركز الإيطالي لنشر الثقافة والحضارة الإيطالية القديمة والحديثة بين الجالية وأبناء العرب

قال اصف : اليوم هناك ثقافة أمريكية فقط ذابت ثقافتكم بالأمريكية

ضحك توماسو : معك حق يا سيد اصف

***

اتصل اصف بالمحامية رندة كلف وهمس لها برغبة ماتيو بالزواج من صحفية او إعلامية وانه تذكر أختها سندرة التي أرسلتها له للتوسط لها في شراء سيارة حديثة من ابن عمه ماتيو ، وذكر لها أن قريبهم التاجر جوزاني هو الذي ذكرني بكم ، فعرضت عليه اللقاء بها شخصيا ودعته إلى شقتها للقاء بها وبزوجها باركر قبل عرضها الموضوع على أهلها وسندرة فعرض أن يأتي بابن عمه معه فترددت ثم قال : نتحدث معك أولا ، ثم نتحدث معكما لان ابن عمك نصفه اجنبي كما أعلمتني .

رحب زوجها باركر شوغب باصف على مدخل المنزل الخارجي وتقدمه نحو باب الفيلا الخاصة الداخلي استقبلته المحامية رندة بقبلتين على الخدين وقبل يدها وهو يفلتها بعد المصافحة وتبعهم إلى قاعة الاستقبال وكانت قد لبست بذلة خاصة بالنساء والعمل وكانت رائحة العطر تفوح من شعرها وثيابها وهي تعانقه ، فلما أشاروا اليه بالجلوس في مكان نفذ وتخلل ذلك كلمات الترحيب والابتسامات فقال باركر : ما القصة أيها الصديق ؟

ابتسم لهما فقالت رندة للخادمة التي اطلت من المطبخ : قهوة مومي .. أهلا بالصديق العزيز والزبون العزيز

أعاد كلمات الشكر والثناء عليهم وهمس : أين الأطفال ؟

ضحكا معا وقالت : لا يوجد لدينا أولاد يا معلم اصف .. نسمى أم وأب بدون أطفال .. صحيح هذه أول مرة نلتقي في البيت يا أبا سمور كيف العيال ؟

قال : بخير الأطفال اختيارا أم قدرا ؟

قال باركر : قدرا يا صديقنا .. لست صالحا للإنجاب

ـ يا الهي ! تعالجتم

قال : سعينا ولم نفلح .. دعك منا .. ما قصة جوزاني وزواج ماتيو؟

قال اصف شارحا سبب اختيار سندرة : كنا قبل أيام في جلسة عمل مع قريبك التاجر الذي عرفني عليكم من سنوات كمحاميين .. وليلتها كنا في مقهى شمس في وسط المدينة لعقد صفقة أرز وغيره .. وكنت أنا وماتيو قبل حضوره نتحدث عن زواجه فقد قرر الارتباط بفتاة قبل دخول أبي رشيد علينا .. وعرف الرجل الموضوع عرضا فقال لي ونحن ننصرف بعد الاتفاق والصفقة لديّ عروس جميلة .. فاتصلت به بعد أن فهمت صفة العروس أو وظيفة العروس التي يرغب بها ابن عمي .. هو يرغب بالزواج من صحفية أو إعلامية .. لأنني عرضت عليه طبيبة ومهندسة لمعارف لي .. فلما عرض عليّ قريبكم عروسته قلت الرجل يرغب بامرأة تعمل بالإعلام فذكر لي أختك سندرة التي تعمل في إذاعة الجيش وذكرها لأنني اعرفها عن طريقك كما تذكرين سيدتي الفاضلة عندما أرادت امتلاك سيارة صغيرة إيطالية كما تذكرون .

قال باركر مستوضحا : ولماذا صحفية ؟ أليس الأمر غريبا على تاجر وبياع أن يختار صحفية ؟!

فقالت رندة : فعلا ما علاقته هو بالإعلام والصحافة ؟ بياع يريد صحفية بالاختيار ؛ ليس بالصدفة فهذا غريب أبا سمور !

ضحك اصف وفسر : يبدو الاختيار غريبا فعلا .. هو في الأصل خريج إعلام وعمل فيهما فترة في حياة أبيه عمي باهر رحمه الله . .ثم ترك الإعلام واشتغل بالتجارة والصفقات والاستيراد والتصدير لماذا ؟ أجاب على سؤالي هذا وانا ازور عمي في روما ..لأن دخلها اكبر من كتابة مقال أو كلام في الإذاعة .. المال هو السبب لترك الإعلام والوظيفة .

هزت رأسها وقالت : معه حق .. من ناحية مادية قد تكون التجارة ذات مكسب كبير

قال : والسبب الثاني للاختيار .. فاختيار صحفية أو إذاعية سواء في الراديو أو الشاشات يوفر له فرصة للسهر والسياحة والسفر .. فهو يعشق السفر لأغراض مختلفة .. فهو يشرب مثلنا فيستغل دوامها الليلي للعبث مع أصدقاء الليل

قال باركر مضيفا ومفسرا : يمارس الحب أثناء وجود الزوجة في العمل الليلي

ضحك اصف وأجاب : رجل تربى في روما في حضن الغرب والإباحية هل تراه شريفا وهو ابن خمس وثلاثين سنة ؟! ربما هذا سبب آخر .. فهو يعرف النساء قبل حضوره إلى هنا وجل أصدقائه المقربين من الطليان

قالت باستغراب من تعليل اصف : ولماذا سيتزوج ؟

ـ سؤال جيد .. يرغب بالزواج ؛ لأنه يتحرج من عزوبيته عندما نزور القريبات من العمات وبنات العم ومناسبات العيلة .. وأيضا هذا يرغبه بابنته وهذا بأخته يريد أن يحس أنه من الأسرة عمليا ولا يريد الزواج منا .. اقصد من الأسرة الكبيرة ؛ خشية أن يفشل زواجه ويسبب شرخا في العائلة التي عاد إليها بعد حياة طويلة في إيطالية . وذكر لهما ملخصا من حياة عمه وماتيو

قال باركر مادحا : نقطة جيدة وجهة نظر مقبولة يا رنده

قالت : الشرب في أسرتنا امر طبيعي أما الزنا فهو غير مقبول إلى حد كبير يا اصف رغم استسلامنا للحضارة الغربية لباسا شرابا طعاما ما زالت بقايا من عادات وتقاليد باقية فينا

ـ بصراحة .. هو لو تزوج أوروبية فلا يضمن شرفها وعدم خيانتها له دون مراعاة لمشاعره وغيرته وأولئك يتزوجون بدون عقد شرعي وقد يعيش الشاب والشابة فترة ويبتعدان عن بعضهما دون تعقيدات .. وربما تجلب الشابة صديقا وعشيقا للشقة دون اهتمام به والعكس جائز

باركر : هذا ما فعلته الحرية الجنسية بهم فهم يعانون منها بشدة

قال أصف : حسب علمي بكم أنكم أسرة غير متزمتة لعلي مخطئ

قالت : صحيح نحن أسرة متمدنة ونعيش العصر ولا يهمنا الحلال والحرام لكن تهمنا العادات

والأعراف التي درجنا عليها .. نحن الاختلاط امر عادي ..نأكل بدون أن نسال هذا جائز وغير جائز ما دام يباع في المحلات والمطاعم .. التعامل مع البنوك هذا ربا وذا غير ربا لا نفكر بذلك .. وهل تختلفون عنا

فكر اصف قليلا : لا نختلف عما أشرت.. نحن مثلكم ما يجوز في قانون الدولة يجوز عندنا لسنا متدينين في الغالب نستقبح ما يستقبحه قانون الناس وما يفعله الناس نعمله اذا وجد قبولا

قال باركر : هكذا ولدنا وعشنا ..

فأعطته في نهاية الجلسة رقم تلفون بيت أهلها وتلفون مكتب عملها لسندرة ، وانصرف شاكرا متفقين على سماع ورأي سندرة ليجتمعوا معهم في اللقاء التالي .

***

فاتصل أولا في دائرة العمل وهمس لها بأمر الزواج من ابن عمه نصف الأجنبي واذا لا ترغب به زوجا او لا ترغب بالزواج ـ فهي قريبة من عمر الثلاثين ، ولم يسأل عن سبب تركها الزواج لهذا السن ـ فطلب منها أن تدلهم على فتاة زميلة لا تمانع من الزواج من رجل نصفه اجنبي ، فطلبت مهلة لدراسة الأمر والتفكير وكاشفها بلقاء باركر وشقيقتها ، فقالت : سأتحدث مع أختي وأنظر هل هو الرجل المناسب لي في هذه الحياة ؟

قال : لا بأس والذي ذكرني بك رغبته بالزواج من صحفية وهو قد تخرج من كليات الإعلام في إيطاليا مثلك وعمل فترة بشهادته قبل التحول للتجارة بأنواعها

وذكر ملخص الحديث مع جوزاني واختها وباركر

قالت بعد صمته : كان لطيفا معي عند شرائي لسيارة من متجره ، وتحدثنا ؛ كأننا نعرف بعضنا من سنوات .. عنده سكرتيرة جميلة وموظفة أجنبية واثنان من الشبان

قال : اكثر زبائنه من الطليان والأجانب وقليل من العرب علاقته جيد جدا معهم وهو شريك في التجارة قبل حضوره لبلد أهله يا سندرة !

قالت : لاحظت ذلك من ترددي على المتجر سأفكر به جيدا ؛ لأنني افكر بالزواج فعلا وهو

يدخن السوجار الكوبي

قال ضاحكا : ويتعاطى الكحول وبعض الحشيش

قالت : علاقاته مع النساء

قال : لا تخلو حياته منهن .. انه يقترب من الأربعين وابن أوروبا المعاصرة .. وعادة أو غالبا هؤلاء الأجانب يتزوجون في سن تزيد عن الثلاثين

علقت على الملاحظة : نسمع يعني لن أتفاجأ اذا رأيت أنثى معه

قال بتردد : حسب معرفتي بشقيقتك فإنها امرأة معاصرة لقد دعوتها وزوجها اكثر من مرة لحفلات خاصة وكانت تشرب الخمر دون تردد

قهقهت وقالت : كل الأسرة تفعل ذلك .. فهو امر شائع في البيت .. فالشراب ليس هو المشكلة .. النساء الأخريات المعضلة

قال : هذا يذلل عقبة مهمة بينكما اقصد الخمر .. أما النساء فلست مطلعا على حياته الجنسية ولكنه ابن روما .. فهؤلاء يتعلمون الجنس في المدارس لأنهم لا يهتمون حسب ما اسمع بالبكارة والعذرية نحو الشرقيين المتزمتين .. وبالنسبة للعمل !

ـ هو ما رأيه ؟

قال اصف متظاهرا بالجهل : هو حسب معلوماتي لا يمانع في عمل الزوجة

فقالت ببعض الحماس : لن نختلف إذن .. أمهلني أيها الصديق مدة أتحدث مع إخوتي وأمي فوالدي ميت

ـ كم تحتاجين ؟

ـ أسبوع بالكثير .. جيد

قال باسما للتلفون : جيد حتى لا يبحث قبل الرد

وقص عليها الخيارات التي قدمها لابن عمه ماتيو باهر

***

قام ماتيو وفرجينيا وفرانك بزيارة الطبيب ماركو في فيلته في نفس الحي الذي يقطنه ماتيو واستقبلهم الرجل فهو على معرفة بهم الثلاثة قبل رحلة علاجه ولم يكن أول لقاء بينهم فكثيرا ما شاركوه حفلات ميلاد الأسرة ومناسباته الاجتماعية وأكثرهم مشاركة فيها صديق ابنته فرانك العامل في المركز الثقافي الإيطالي حيث تعمل كاميليا أيضا ، واطمأنوا على صحته وحدثهم عن العملية وانه خفف من الدخان والتبغ وقدمت لهم زوجته الشراب ، وشكرتهم على زيارتهم ، وعلموا منه أن سيباشر العمل قريبا وان زوجته عادت لوظيفتها حيث يشتغلان في المستشفى الإيطالي في مدينة جبل السوار ؛ حيث أقامت جمعيات تبشيرية هذا المستشفى في جبل السوار وهناك مشافي أخرى في مدن أخرى لنشر النصرانية في بلاد المسلمين من خلال العلاج والدواء ، ولما سألوا عن الآنسة كاميليا قالت أمها : ذهبت مع أختي ديانا في زيارة لمريض في المستشفى الإيطالي حيث اعمل أنا وماركو كذلك

فقال فرانك : من المريض ؟

ـ بنت صديقة ديانا وهي صديقة لكاميليا أيضا وهي تعمل معكم في المركز الثقافي الإيطالي لقد تعرضت لحادث سير خفيف كانت للأسف ثملة وعائدة من حفلة عيد ميلاد وصدمت سيارة

فقال فرانك : سأتصل بها واطمئن عليها .. أنا فكرت صديقة أخرى غير نورمي .. أنا زرتها مع جون وتومانسو .. انتم كنتم في روما

فقال الدكتور : تحدثت مع المستشفى من أجلها لما علمت فقالوا لا يوجد كسور إنما هي كمية من الرضوض وستخضع لصور طبية .. القيادة في حالة السكر مأساة نغفل عنها والطريق أثناء الليل تغري بالسرعة ثم يتفاجأ الشخص المسرع منا بطائش أو مسرع سكران هو الآخر.. غالب هؤلاء السكارى عائدين من سهرات ونوادي ليلية وحانات في اطراف الغابات وأعالي الجبال

قال ماتيو متكلما ومشاركا : ننسى انفسنا ..كذا مرة الله لطف بنا .. يقضي الواحد منا ساعات

في الملهى وعند الترويحة يريد أن يصل المنزل بدقائق كأنه جوعان نوم
قالت فرجينيا موظفة السفارة سبب العجلة : التعب .. التعب من السكر والرقص والمخدر
قال فرانك ضاحكا : فعلا هذا ما يحدث معنا سكر سكر حشيش ولما نخرج من الخمارة يصيبنا جنون السرعة كما قلت ماتيو .. يبدو أن كاميليا ستتأخر يا رفاق فلنترك الطبيب يستريح فما زالت علامات الإرهاق ظاهرة على وجهه
تنحنح الطبيب : أشكركم وستراكم كاميليا قريبا أيها الأخوة
ـ متى ستباشر العمل في المركز ؟
قال ماركو ردا على فرانك : تحدثت مع المدير ورحب بعودتها في أي وقت فهي تقوم بأبحاث جيدة للمركز
قال فرانك : المكتبة كذلك بحاجة إليها والموظفة البديلة أيضا نشيطة وهناك احتمال توظيفها رسميا كما حدثني المدير وتتفرغ كاميليا لنشاط المسرح والأفلام الإيطالية وذلك بعد مناقشتها بالعرض
قالت أمها : هي تحب المسرح من عهد الشباب القديم وكذلك الأفلام
قال فرانك مساعد المدير جون : نحن نعرف ذلك ؛ لأن مديرة المسرح على وشك إنهاء خدماتها في المركز فزوجها يرغب بالعودة للوطن ملّ من الغربة أو وجد عملا افضل من التعامل مع العرب
ضحكوا وقالت فرجينيا : اكثر رواد مركزكم من غير العرب فرانك .. اعتقد انه سيسافر لأمريكا حيث يكثر الطليان ومسارحهم وأموالهم .. هناك الأثرياء يدفعون وليس الدولة الإيطالية
قال ماركو : قد يكون ما تفوهت به صحيحا وحقا

***

كان ماتيو قد بدأ يتردد على المركز الثقافي الإيطالي بصفته صديق ليوناردو صديق المقهى فهو

موظف يعلم اللغة الإيطالية لأبناء العرب وغيرهم وفرانك كموظف إدارة في المركز أيضا ، هؤلاء الثلاثة والفتاة من اهم رفاق ماتيو الطليان وبدرجة اقل كاميليا وتوماسو وجون

***

وبعد زمن قصير وافقت سندرة كلف على اللقاء بماتيو وابن عمه اصف وبصحبة شقيقها فارس واختها رندة ، ولما عرض الأمر على ماتيو حدد لهما مطعما على حسابه وضيافته فقبلوا الدعوة بدون تشنج ، ورافق اصف الأخوة الثلاثة إلى لقاء ماتيو والى مطعم قيصر في الضاحية الإيطالية وهو مطعم مشهور بالوجبات الإيطالية والخمور الإيطالية والفرنسية ، جرى التعارف بينهم ، وقال فارس بعد الطعام والضيافة وأثناء شرب الشاي وغيره : بعد أن عرفنا الأخ اصف على بعض وتبين لي معرفتك بشقيقتي منذ ابتاعت أختي سيارة من معرضك وبينتم لنا رغبتكم بالزواج من أختي سندرة علينا أن ندرس الأمر في البيت مع الأم لأن والدي ميت منذ سنة تقريبا

ترحموا عليه حسب العادة والتقاليد بالدعاء للمتوفى عندما يذكر في مجلس وأثناء الحديث والثرثرة وقال : اصف : هذا حقكم يا سيد فارس ! وهكذا عادة الناس

واكد ماتيو الحق وأضاف : أنا لست مستعجلا على الزواج رغم كبر سني فأنا اقترب من الأربعين .. بيني وبينك يا سندرة ثمان سنوات فكروا بهدوء .. بس لا تنسونا من الرد .. فاصف عرض عليّ أخريات وذكر صفاتهن ثم قال معللا ترجيح كفة صحفية : قدمت الصحافة لأنني أنا خريج كلية الإعلام من جامعة روما .. اشتغلت عليها فترة في مجلات وإذاعات محلية ويمكنني العودة إليها في أي وقت ؛ لكن حببت لي التجارة والعمل الحر والبعد عن الوظيفة

قال اصف مركزا على الرد للدخول في التفاصيل اذا قبلت الأسرة الزواج من ماتيو : المهم اهتموا بالأمر بشكل جدي واي سؤال عن ابن عمي حسب عادتنا فوجهوه إليّ .. فأنا اعرف الناس بصديقي ماتيو ، وزرته كذا مرة في إيطاليا وتعرفت على عمي والده لأنني ولدت بعد خروجه من الوطن ، وتشاركت معه بكل قوة وحماس فهو شريك كامل (ففتي ففتي كما يقال)

فقال فارس للتأكيد : اكيد سنهتم .. يا أبا سمور .. أنت صديق العائلة من سنوات خاصة شقيقتنا رندة فهي تعرفك بشكل جيد وتام كما تقول ..فهي عاملتك قبل أن يظهر السيد ماتيو في بلده الأصلي فهو وطنه كما هو وطننا .. فنحن اذا تناسبنا وتصاهرنا فكأننا ناسبنك وصاهرناك أنت .. هذا زواج كما يقال سيكون عشرة عمر .. خلال أسبوع بإذن الله تعالى سيكون ردنا ورد شقيقتي الغالية سندرة عندك يا اصف بصفتك ابن البلد واعرف بالعادات المتبعة في البلد ..ما تقول المحامية؟

فابتسمت المحامية التي ما كفت عن النظر على ماتيو منذ تركوا مائدة الطعام : ماذا سأقول فانا واصف معرفة قديمة بسبب قضاياه لدى مكتبنا .. والأخ ماتيو رأيته مرة لما ذهبنا لشراء سيارة سندرة ولا تعرف حقيقة الناس إلا بعد التجربة والزواج

قال اصف للحسم : جيد ! أسبوع ممتاز يا دكتور فارس .. اذا حصل القبول ستكون فترة خطبة لعدة شهور بينهما ثم يحصل الاقتران اذا عرفوا بعضهم بشكل جيد خلال فترة الخطبة ؛ لأن الحياة الزوجية حياة لا تخلو من الصعوبات والنهفات والمشاكل وتحتاج لحسن العلاج

قال فارس : أحسنت! فترة الخطبة تعود لهما قصرا وطولا

قال ماتيو : الله الموفق ـ إن شاء الله ـ ننسجم معا في حياتنا الخاصة ومعكم .. والإنسان يبحث عن السعادة .. قد يحققها وقد لا يحققها بالزواج .. والدليل كثرة حالات الطلاق في العالم فلعلنا ننجو اذا حصل الزواج يا سيد فارس كلف .. معذرة فالأخ الغالي اصف ذكر أن المحامية وزوجها في غاية السعادة رغم أن لا أولاد بينهم .. فهذا شيء تمدحون عليه خاصة أن المشاكل كما قال اصف من ناحية الزوج .. اسف أستاذة رندة على ما تفوهت

اجتمعت عائلة السيد وحيد كلف وتحدث فارس لأفراد الأسرة بموضوع زواج ماتيو ابن الثقافة والحضارة الغربية بإجبياتها وسلبياتها ، وأنه عاش اغلب سنوات عمره في إيطاليا وهو راغب بالزوجة من وطن أبيه باهر لتقوى علاقته بوطن أبيه فقالت أمهم لفارس ابنها البكر : كيف أخذت انطباعا عنه ما دمت التقيت به ؟

حك رأسه ونظر لأمه وقال : لا يختلف عنا إلا أنه تربى خارج البلد .. وأكيد اكتسب الكثير من عادات الغربيين يا أمي .. وليس أول عربي يعود ويتزوج من بلده .. فنحن نرى أبناء المهاجرين لأمريكا يعودون للزواج من أقاربهم وأبناء البلد

قالت رندة : أنا قابلته قبل هذا اللقاء عندما ذهبنا نشتري سيارة من محلاته لسندرة فهو تاجر استيراد سيارات صغيرة من إيطاليا .. والزواج حظ وقدر كما يقال .. والأمر لسندرة أولا وآخرا

قالت راما : صحيح أنا اصغر من سندرة وتزوجت مرتين

قال زياد أبو نضال معقبا : أنت تسرعت في الزواج الأول ، رغبت بإكمال قصة حبك مع فوزي فور انتهاء الجامعة .. فكان الفشل سريعا ؛ لأن حب الجامعة ليس مثل الحياة خارج الجامعة

صاحت راما محتجة : حياتي هي أم حياتك .. هل تظن أن نادرا احسن من فوزي كلهم مثل الزفت .

قالت الأم : دعونا من فوزي والزفت نادر خلونا مع الأجنبي ماتيو

قال مالك : معك حق يا أمي ؛ فكما قالت رندة الزواج حظ ونصيب فالكلام الفصل لسندرة وحدها .. رأت الرجل وعرفت بعض أحواله وتجلس معه بدل المرة مرات ثم تتخذ القرار المهم والحاسم .. هي التي ستعيش معه .. ويا سندرة كبرت فعلا

والكل ترك القبول والرضا بيد سندرة والتي قالت : بعد تأمل ومعرفة بحياة الشاب رأيت الموافقة المبدئية ولعلنا نتوفق في حياتنا الزوجية وعليّ أن أعيش معه فترة خطوبة لزيادة المعرفة

فقال زياد كأنه منبها : هؤلاء الأجانب اكثر حياتهم الزوجية فاشلة .. وهو ابن حضارتهم كما

قلتم ، فلعلك فكرت بعواقب الفشل .. أو عليك التفكير بذلك

قالت : الحياة تجارب يا أبا نضال ! الفتاة تتزوج ابن عمها أو خالها وتفشل

ـ القصد من ملاحظتي يا أختي ألا تندمي على الاختيار اذا فشل ولا تعتبرين أن الفشل نهاية العالم والكون

قالت : فكرت بذلك الفشل .. من حيث الطباع وما أشرتم اليه من عادات وطباع من تربى هنا وتربى هناك

فقالت رندة : الحياة تظل تجارب وعليها أن تعيش هذه التجربة كما عشناها نحن

***

وافقت الأسرة كلف على زواج سندرة من ماتيو ، واتفقت سندرة على اللقاء معه على انفراد للحديث في أمور خاصة ، وتقرر أن يكون اللقاء في منزل أمها أم فارس ، ورافقه اصف للبيت ورحب بهم فارس وبعد الضيافة والتعرف على الأم وباقي أفراد الأسرة وسمعوا مختصرا عن حياته وحياة أبيه الهارب من ظلم الحكومة قبل عقود مضت وقصة عودة الابن وحده دون الأخوات ، سمحوا لهما بالجلوس وحدهما في غرفة مغلقة نصف الباب فقالت الإعلامية في إذاعة ومجلات الجيش الوطني : أهلا بك في بيت العائلة ..أنت علاقتك قوية كما فهمت منك بالطليان داخل المدينة بحكم جنسيتك الإيطالية وأصحابك منهم وعلاقتك بهم اقوى من علاقتك بأفراد أسرتك إلا اصف ورامز شقيق اصف .

ـ عرفتهم هنا بحكم متجر السيارات الإيطالية الذي أملكه بشكل خاص أي هو لي وحدي فليس لي شريك فيه .. ولغتي الأصلية الإيطالية .. فلما عرفوا انني نصف إيطالي كما يقولون زاد الانجذاب والدعوات بيننا لأشياء مشتركة بيننا أيضا واهمها المرح والسهرات .. أنا تعلمت العربية من أبي بعد اكثر من عشر سنوات من ولادتي ؛ لذلك لا احسنها جيدا ؛ لكني استوعب ما يقال لي فيها فأنا عشت بين الطليان ومدارس الطليان وكنت أتكلم فيها معهم ومع أمي وأقاربها .. وانا كنت اجهل عربية أبي لظروف عرفتها عند العشرين .. قد سجن في هذا البلد

سنوات بسبب خلافه مع حزبه القومي الماركسي أو الاشتراكي كما يحلو لهم تسميته لتضليل الناس .. وخرج بعفو رئاسي ثم هرب متخفيا إلى أوروبا واستقر في روما متنكرا ..وبعد سنوات تزوج أمي بعد تعرفه عليها من خلال حزب اشتراكي نشط معهم ثم تجنس وظل متخفيا باسم إيطالي حتى عام سبعين بضعف القومية العربية وفشلها الذريع في هزيمة إسرائيل .. وبتشتت الاشتراكية بين الصين والسوفييت واشتراكية ناصر والبعث العربي

ـ أعرف كل هذه المصطلحات الدارجة في الإعلام والصراع بين الشرق والغرب وان خفت رويدا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانحصرت الماركسية في بعض الدول المعدودة .. هل تعتقد أنك ستستمر بالحياة في بلادنا هنا ؟

قال مفكرا ومجيبا : أكيد والا لما عدت .. أنا لي أم حية ، ولكنها تزوجت صديقا لابي بعد موته ولي اختان اكبر مني تعيشان في أوروبا

ـ واذا سافرت ومللت من هذه الديار فأنت تحسب أوروبيا ، لا أظن مما سمعته منك أن لديك ما يقال عن الحنين إلى الوطن

ـ بالنسبة للحنين صدقا لا أظن انه موجود فيّ ؛ لكن الرحيل إلى هنا كانت رغبة الوالد .. واذا رحلت بسبب الملل تسافرين معي إلا اذا كنت ترغبين بالبقاء بين اهلك .. فهذا الأمر يعود إليك حينئذ .. فلا أظن أن تضيق بك إيطالية .. ولوالدي فيلا وما زالت تحمل اسمه ولم تباع ولي شقة خاصة بي مؤجرة بعد وفاة أبي لأنني عدت لفيلا أبي للعيش مع أمي التي رحلت لبيت زوجها بعدما تزوجت صديق أبي .. فانا لم أتزوج قانونيا لليوم فاذا حصل النصيب فأنت الزوجة الأولى والأخيرة .. فنحن لا يجوز عندنا التعدد في روما حتى لو كنت مسلما فالقانون يمنع ذلك

ـ كما نسمع انتم تعيشون بدون زواج ديني انتم الزواج المدني اختياري

ـ صحيح يلجأ الناس للزواج القانوني من اجل الأطفال الشرعيين وعادة أو اغلبه يكون على كبر لأنه يترتب عليه حقوق ومشاركة في المال والحياة والنفقة على الأطفال

قدم لها سيجارة بعد أن أشعلها ومج عليها مجة وقال : تفضلي

تناولتها باسمة وقالت : ذكرتني بسجائر المحل ..شكرا .. أمي وأهلي يرونك مقبولا ومناسبا لي كزوج فأنا لست صغيرة .. أنا تأخر زواجي رغبة مني .. أنا اعمل في جهاز الإعلام العسكري في إذاعة الجيش وصحافة الجيش وانا ضابطة صاعدة في الخدمة

ضحك ورد : أنا اعرف ما تعني ضابطة تخدم في الليل والنهار ..وهذا سبب رغبتي بصحفية سواء مدنية أو عسكرية حتى أتحرك بحرية وأسافر لعقد صفقات بحرية .. فأنا عشقت السياحة ولي نشاط وصداقات خارج إيطاليا .. وأتلقى دعاوات سياحة من أمريكا وسويسرا والسويد .. لحضور حفلات وقد أتمكن من مشاركتك معي فيها حسب الرغبة والوقت اعتقد انهم يسمحون لك بالسفر في الإجازات

ـ والخلفة والحمل والأطفال

ـ نتمهل قليلا حتى يثبت الزواج مائة بالمائة .. في البداية لا ارغب في ذلك حتى يستقر الزواج وننسجم معا حتى لا نظلم الأطفال

قالت : لا بأس وهذا رأيي حتى لا نجني عليهم فأنت طباعك الغالب عليها سيكون الأوروبي بعكسي أنا .. سيكون لدينا خادمة تنام في البيت لتوفر لك الخدمة أثناء عملي ومناوباتي

ـ لدي خادمة فرنسية من اصل أفريقي

ـ ممتاز !! .. فكر بي جيدا .. أنا وافقت على الارتباط بك كزوج وشريك حياة

ـ والشراب لم تتحدثي عنه والنساء

ـ عرفنا من اصف انك تسكر وترتاد الحانات الأجنبية في بلادنا .. فهذا شأن خاص أنا ادخن مثلك كما أرى ولا اسكر كثيرا ؛ ربما في بعض الحفلات العسكرية .. لم افهم قصدك بالنساء

ـ لي صديقات إيطاليات نجلس نسكر نمزح

ـ هل هناك قصدك علاقات جنسية ؟

ـ ليس بالضرورة أن يكون ذلك يا سندرة فأنا مللت منهن قبل أن افكر بالزواج لا تعتقدين انني

قضيت هذه السنوات زاهدا وراهبا .. القصد نسهر نرقص نحشش

ـ الماضي لا دخل لي فيه حتى لو زعمت غير ذلك لا احد يصدق أن أوروبيا لم يزن أو امرأة لم تخن صديقها أو حتى زوجها .. ففضائح الخيانات تملأ صحفكم الغربية

ـ جيد جيد أنت متفهمة حياتنا الصعبة .. الغيرة أرجو أن تكون معتدلة بعيدة عن التهور والمبالغة ..أنا اعلن الآن أني موافق على الاقتران بك وسأقوم مع ابن عمي بالإجراءات المناسبة

تصافحا إيذانا بالانصراف بعدما اعلنا أمام العائلة انهما قد تم التفاهم بينهما على صفة حياتهما المشتركة

***

تكرر اللقاء بين ماتيو والصحفية لمدة نصف سنة تقريبا ، وسمحت لنفسها بالسهر معه ومع شلته في الملاهي الليلية والنوادي الليلية والمراقص وحتى السهر في بيته الخاص ، وهم مجرد خطيبين لا وثائق بينهم فزادت معرفتها بحياته الخاصة خاصة في الليل ، ثم أعلنت الخطبة الرسمية في محفل خاص وكبير لما كثر التذمر من أمها وأخوتها ؛ لأنها كانت تعود أحيانا للبيت في حالة ثمالة وسكر شديد على غير ما كانته سابقا قبل الخطبة ؛ حيث كانت تضبط نفسها بعدم التوسع بالسكر وإطالة السهر في الحفلات والسهرات الاجتماعية ، وحضرت أم ماتيو ريتا وزوجها وشقيقتها لارا غابرييل واختاه ساندرا وصوفيا بدعوة منه وعلى نفقته الخاصة للمشاركة في المناسبة هذه ، وكثير من أقاربه شاركوا كذلك في هذه الحفلة والمناسبة ، وترع الحاضرون من المسكرات حتى ثملوا ، واتفق أثناء الحفل وإشهار الخطبة على أن يكون الزواج بعد شهور ، وأصبحت الفتاة ترافق خطيبها في كل الأماكن في النوادي والمقاهي وتسهر مع أصحابه بدون حذر وحرج ومراقبة من أهلها اكثر من الأول وحتى أنها سافرت معه اكثر من مرة للتعاقد على سيارات وماركات إيطالية والمانية حتى تفاجأ بأنها تخبره بحدوث الحمل وبدا مصدوما مما حصل ..

فقال ساخطا : كيف سمحت لنفسك بالحمل ؟

ـ لم انتبه وكنت انسى بأخذ الحبوب لأنني لم أتعود عليها .. وأنت دفعتني للاستسلام لك اكثر من مرة والان تقول لي كيف سمحت لنفسك بالحمل ؟ .. السكر يفقد الناس الصواب .. وقلت لنفسي سيكون الزواج قريبا .. نسيت امر الحمل .. ولم اكن أن أتوقع أن يحدث بهذه السرعة .. لم استطع مقاومة رغبتك بالاتصال الجنسي !

وطلب منها بحدة الإجهاض قبل الزواج فرفضت الفكرة وقالت : الحمل حدث دون وعي مني ، ولا أريد ارتكاب هذه الجريمة إلا اذا فسخت الخطبة فسأضطر للجريمة ..وأنت تتحمل تبعاتها ؛ فأنا أخاف من الإجهاض ، فله أحيانا مضاعفات كما تتحدث النساء وقد يسبب العقم وهذا الحمل مما عجل بحفلة الزواج وكتابة العقد الشرعي الذي أقيم في افخم فنادق جبل السوار وذهبا بشهر عسل إلى سويسرا وفينا ، فقد عجل بالزواج القانوني لدرء الفضيحة وندم على معاشرتها قبل الزواج الشرعي والرسمي ، وتقبل الأمر واشترط أن يربى عند أمه وفي روما تحت رعاية حاضنة أوروبية ورعاية أمه وأصر على بقائها في إيطاليا ورضخت سندرة لرغبته ، ولما اقتربت الولادة سافرا إلى روما حيث وضعت طفلتها الأولى بعد زواجها بخمسة شهور مما أثار اللغط في عائلتها ، وبعد الوضع بشهور عادا ، وقدمت استقالتها من الجيش لتعمل مع زوجها في متجر السيارات على نية أن تقوم بعد حين بإنشاء جريدة أسبوعية خاصة بها أو مجلة شهرية ، وبعد الاحتفاء بالطفلة عدة شهور نقلت للعيش في روما برعاية ريتا أمه ووضعت في محفل رضع بالمال والأجرة ومتابعة من أمه السيدة ريتا.

***

وكانت سندرة معجبة بأصدقاء ماتيو الطليان منذ أيام الخطبة غير الرسمية ، وتحمست لتعلم اللغة الإيطالية في المركز التابع للسفارة الإيطالية ؛ حيث فيه معهد صغير لتعليم اللغة الإيطالية لأبناء العرب أو الجاليات الأجنبية ولنشر الثقافة الإيطالية ، فروما لها حضارة غارقة في التاريخ القديم والعصور والوسطى والمعاصرة ؛ لذلك بعد رجوعها من إيطالية بزمن قصير لحقت بالمعهد وأخذت بتعلم اللغة وبتشجيع من ماتيو وفرانك موظف المركز وصديق ماتيو وتعرفت على صديقته كاميليا أو عشيقته ابنة الدكتور ماركو وزوجته ماريغيت وأصبحت تشاركهم حفلاتهم الخاصة من سهر وسكر ورحلات داخلية اكثر من فترة الخطوبة ، وقد ترك لها ماتيو الحرية كما تركت له الحرية بعلاقاته مع فتيات الحي الإيطالي ولما دخلت سنة ١٩٩٧ باشرت بالأعداد لإنشاء صحفيتها الخاصة باللقاء بزملاء المهنة ، وقدم لها زوجها الدعم الكامل والمال بدون تردد .وتعلم اللغات يبدأ بأخذ كورسات وفصول بالتدرج بالأسهل للأصعب واذا اجتاز الطالب الأسهل ينتقل للأصعب اذا رغب بذلك وحسب قدراته على الاستيعاب والفهم وأحبت هي ذلك لتستوعب همسات ومصطلحات أصدقاء العائلة فكثيرا ما اضطر ماتيو لشرح النكتة أو المعلومة بالعربية التي هو فيها ضعيف أصلا .

قال لها فرانك عندما دخلت عليه مكتبه الخاص في المركز الثقافي المدعوم من السفارة والدولة الإيطالية : كيف ترين حياتنا بعد معاشرتنا نحن الطليان ؟

تناولت فنجان القهوة الذي قدمه لها مع سيجارة إيطالية ، فالمركز يوفر لهم وجبات إيطالية وشراب إيطالي ودخان إيطالي وغير ذلك وأفلام إيطالية ولديهم مكتبة مليئة بالكتب والروايات والمسرحيات الإيطالية فقالت : انتم ناس لطفاء حقيقة .

قال مداعبا : أتحبين ماتيو بعد اكثر من سنة زواج بعد سنة خطبة ؟

قالت ضاحكة : نعم احبه ؛ لكنه نصف إيطالي .. نقترب من السنة الثالثة للعلاقة بيننا

ـ أبوه صار إيطاليا بعد هربه أيام حكم الحزب القومي الاشتراكي في بلدكم هذا

قالت : سمعت بعض قصته منه ومن ابن عمه اصف صديق أختي الكبرى

ـ المحامية رندة كلف عرفني عليها ماتيو أثناء حفلة الزواج واصف نصف صديق لنا فهو لا يحسن الطليانية ..أنت تحسنت كثيرا عليك بأخذ كورس آخر .. ربما بعد سنة تستطيعين ترجمة كتاب إيطالي سنتان بالكثير اللغات الأوروبية قريبة من بعض وأنت تتقين لغة السكسون .. لدينا صحف إيطالية اكثر من تصفحها فستتحسن قدرتك على فهمنا اكثر

ـ سأفعل .. أتمنى أن نعيش سعداء .. وها نحن بدأنا الإعداد والعمل في إنشاء صحيفة أسبوعية .. صديقتنا كاميليا رحبت بالفكرة وحتى جون وتوماسو

ـ قالت لي كاميليا صديقتي ذلك ، ويمكنها أن تزودك بأفكار بصفتها مديرة المكتبة وتدير المسرح .. فالمسرح الإيطالي والرسوم مشهورة وجميلة

ـ لماذا لا تتزوجا رسميا سيد فرانك ؟

ضحك ضحكة قصيرة ورد باسما : صعب هذا في حياتنا ، ويترتب عليه أمور كثيرة .. منذ التقينا ونحن نحب بعضنا وقد نمارس العلاقة بدون أي حرج

قالت : أمور مالية كما نسمع

زاد ضحكه وقال : مالية وغير مالية من الحقوق والأولاد والخيانة الزوجية .. فلو رأتني مع امرأة غيرها ستتألم ؛ وكذلك أنا اذا رأيتها عاشرت غيري قد يضايقني ذلك للطبيعة البشرية .. أما اذا فعلت وأنا في هذا الوضع فلا سلطان لها عليّ تغضب ترضى لا يهم ، وكذلك أنا عرفت شيئا سأصمت ؛ لأنني قد أعجب بشابة حلوة مثلك وتراني أغازلها أو اذهب لشقتها أو ادعوها لشقتي سيحدث نزاع من لا شيء وفي النهاية هكذا تربيننا وقبل المجتمع الحديث هذه الصفة من الحياة الاجتماعية .. أنتم ما زلتم بعيدون عنها إلى حد كبير . وضحك

ـ وكيف ترى غيرة ماتيو ؟

ـ صاحبك كثير الصداقات مع الفتيات لكثرة ترحاله وسياحته

ـ بدأت أتكيف على فلسفته بالحرية المطلقة .. الخمر تفقد الشخص منا الصواب وتذهب كل

الحياء والخجل والحشيش تفعل ذلك

ـ صحيح نحن نشربها بحكم تربيتنا وأيضا جوازها في شريعتنا .. لست متدينة يا سندرة كما ألاحظ منذ دخلت صحبتنا

ضحكت بصوت مرتفع : نحن نشربها بحكم تقليدنا لكم لأننا لسنا متدينين .. الدين بعيد عن حياتنا وأفكارنا ؛ ليس لنا من الدين إلا الأسماء .. فلذلك ترانا نلبس مما تلبسون ونأكل مما تأكلون حتى الأعياد الدينية لا نهتم بها كثيرا تمر مرور الكرام

ـ هذا واضح ! كل شيء فيك يدل على ذلك .. اللبس والتبرج والعطر والمخالطة وحتى ليلة عرسك اغلب العرب الذين شاركونا الاحتفال على نفس الشاكلة لم اشعر انكم تختلفون عنا

ـ أتعرف المتدينين عندنا؟

ـ اعرفهم جيدا أنا درست الفلسفة لعدة دول أنا درست في كلية الآداب والعلوم .. زرت مصر وتركيا وبعض دول العرب أنا اكبر منك بقليل

ـ أتعرف ماتيو من إيطالية ؟

ـ لا ، لا ، هنا التقينا في نادي رياضي هذا المركز وعرفته على جون وتوماسو وفرجينيا ثم اصبحنا شلة واحدة .. صوت حذاء كاميليا

طرقت الباب ودخلت وهتفت : سندرة هنا مرحبا صديقتنا العزيزة

تصافحنا وقالت : أنهيت حصة اللغة فأنا أعاون توماسو في التعليم ..قلت أتحدث مع فرانك قليلا قبل المغادرة

قال : أهلا كاميليا .. كاميليا لها نفس مع الصحافة فلتشارك معك بأخبار مركزنا ..وهي تحسن العربية ، وتطلع على الثقافة الإيطالية

ووضح لكاميليا أن سندرة تريد إنشاء مجلة بدعم كامل من ماتيو وسنساهم ببعض الإعلانات عند فتح دورات تعلم اللغة في معهدنا وننشر لمحات عن كتب مكتبة المركز فكاميليا مسئولة المكتب والمسرح في غياب الدكتورة كلارا ماركوس

قالت كاميليا : سمعت ماتيو يتحدث عن ذلك ما أخبار طفلتك ريتا ؟

ـ الحمد لله كل شهرين ازورها واقضي أسبوعا معها حب عن بعد .. فعلنا ذلك لدفع القيل والقال لقد حملت بها أثناء فترة الخطبة كانت حفلة صاخبة وضعفت وسلمت جسدي لماتيو لما عدنا للشقة ليلتها فلم أقاوم الرغبة وحدث الحمل .. أصبحت زوجة قبل العقد

ـ تحدث ماتيو عن ذلك وقال تسرعنا مبررا حدوث الحمل ولم يكن هناك موانع بحكم أننا مخطوبان ؛ لكنه قال لما تعترم الرغبة ينسى الواحد المخاطر والعواقب .. أليس كذلك فرانك ؟

ـ أرجو ألا تفعليها معي ..فالزواج حلم لدينا

ـ اطمئن لن افعلها .. واعلم انك أنت تأخذ موانع

ضحك وقال : الحذر واجب أليس كذلك يا سندرة ؟

قالت سندرة : وقلت لنفسي ما نحن على وشك الاقتران

قالت كاميليا مؤكدة : قال صاحبك حدثت اكثر من مضاجعة لابد

قالت : لما الواحدة تسلم نفسها لخطيبها مرة فتحت الطريق وتكرر اللقاء والجماع ولم يحدث الحمل من اول لقاء نسيت نفسي ظننت انني زوجة .. السكر ملعون

***

لقد انفتحت السيدة سندرة على رفاق ماتيو انفتاحا كبيرا بدون ضوابط ولم يحاول ماتيو وقف اندفاعها فأصبحت اذا دعيت لحفلة خاصة دونه تذهب ، وهو أحيانا كثيرة يكون خارج البلاد بحجة الأعمال والعقود والصفقات والدعوات الخاصة قد يسافر في الشهر مرتين أو ثلاث ، وبذات تشاركهم تعاطي الحشيشة في جلسة كيف ؛ فكان النهار إدارة المجلة وفي الليل البحث عن الكيف ، ولما أتقنت الإيطالية إلى حد كبير أمست محبة لهم اكثر ، وتعمل مع كادر المعهد بحماس ومع فريق إدارة المسرح وحفلات الموسيقى ، وبذات تعود للبيت متأخرة ، وفي غياب ماتيو خارج المدينة تسمح لنفسها بالمبيت في شققهم دون أي خجل أو تردد حتى اضطرت رندة لتنبيها الي ضرر وخطر ذلك الانفلات وقد تأتي لحظة يفقد ماتيو صوابه ويحصل الفراق فترد

على أختها : وهو ماذا يفعل في أوروبا كل هذا الوقت ؟ سيقضيه في حضن بنات الليل هل اصدق أنه لا يقرب البنات ؟

نظرت إليها بسخط بين : افهم من ذلك انك تسمحين لنفسك النوم في أحضان رفاقه

قالت سندرة بدون تردد : انا اعاشرهم اكثر من زوجي اعاشرهم في المركز والمسرح وفي السهر ليلا .. الحقيقة يا رندة قد فعلت .. الحشيش والكحول تنسي الواحدة الشرف وغيره

قالت بانزعاج : انت تضعين مانعا!

ـ قد فعلت بعد ولادة ابنتي ، وهم يستعملون الواقي

ـ وهل يعلم ماتيو؟

ـ اعتقد انه يعلم

ـ ولماذا تزوج ؟

ـ للعائلة كما شرح .. رجل اقترب من الأربعين وبدون زوجة

ـ افهم أن مصير الزواج الطلاق

ـ لم يعد يهمني ذلك

ـ عجيب أمرك سندرة .. أنت كنت بكرا لما تزوجت !

قهقهت وقالت ساخرة : لست بكرا وهل هذا يهم في عصر كهذا ؟.. أنا تزوجت وعمري ثلاثين وسنة ولا تخلو الحياة من الرغبة الست أنثى ؟

ـ يا الهي ! صعقتني سندرة .. ضابط

ـ لا ، أحببت اكثر من مرة .. لا احب أن اخفي عنك شيئا .. تعرفت على مهندس في عيادة للعلاج ولما عاشرني فقد اهتمامه به ، ولم نكمل المسيرة وابتعدنا عن بعض ، ثم رافقت طبيبا بضعة اشهر ولم نتقدم كثيرا

ـ حياتك مثيرة .. لم تصارحيني بذلك

ـ ولماذا أصارحك ؟ كنت عزباء .. هل نحرم انفسنا من شهوة الجسد؟

ـ هل علم ماتيو بذلك قبل الزواج؟

ـ صارحته ولم يرفضني ؛ بل قال : لا يهمني ماضيك ولا يهمك ماضيي ؛ لذلك لم يجد صعوبة بمعاشرتي قبل العقد أي صعوبة فهو يعلم انني امرأة

تبرمت رندة بغضب وسخط وقالت : كنت أظنك غير ذلك .. ولماذا أخرت زواجك ما دامت هذه الشهوة تشغل بالك ؟

ـ هل كنت ترينني متدينة وتخشى على عذريتها وقد أتزوج شيخا ؟

ـ من ناحية الظن كنت استغرب عدم زواجك وأتعجب من صبرك ! أيعقل انك لم تلتق بشاب وعريس في الجامعة وأثناء المهنة ؟

ـ هما الاثنان فقط طمعت الاقتران بهما ، وكأن حضرة المهندس لما رأى تهاوني بإقامة علاقة معه ظن انني اعمل في دار دعارة وكذلك الطبيب .. فكل من يتقرب لصداقة لا يفكر إلا بهذه الرغبة الجامحة

ـ يا الهي ! حقيقة تفاجأت بما اسمع .. هل احد من الأسرة يعلم بما تصرحين؟!

ـ لم اقل ذلك إلا لك الآن ؛ ولكن قد يعرفون لا ادري !

***

كثر تردد سندرة على مكتبة كاميليا لنهل وقراءة المجلات الإيطالية والصحف التي تصلهم من إيطالية ، وكانت كاميليا قد أعجبت بها ، وأصبحت تدعوها لمرافقتها هي وفرانك خارج العمل وحفلات السفارة ونزهات ورحلات الصيد مع شبان الطليان غير موظفي المركز الثقافي، وكلما يعرض فيلما جديدا في صالة المركز تدعوها لحضوره مثل الرعايا الطليان حتى جون موظف السفارة هو وفرجينيا زادت صحبتهم لها ؛ فكانت تدعى دون ماتيو مباشرة لحبها ذلك يتصلون بها ، ولم يحاول زوجها منعها من ذلك ويحد من نشاطها مع المركز ومعهد اللغة ؛ بل كانت تحس انه مسرور بذلك الاندفاع لهم نحوها والسفر معهم لحضور معارض ملابس أو كتب أو زيارة متاحف لبضعة أيام ؛وكانت تعشق ذلك بحجة رؤية ابنتها ابنة الثلاث سنوات عام ٢٠٠٠ ؛ بل الذي كان يضايقها على ذلك التوسع أختها رندة وشقيقها فارس الدكتور المهندس المعماري فكان أحيانا يبدي ضيقه من سفرها دون صحبة ماتيو حتى ولو كان متراخيا أو منفتحا على صداقاتها مع زملائه بفلسفة الحرية الكاملة وبدون أي ضابط ، فكانت تجد الكثير من المبررات وترفض اعتراضاتهم وتثني على شباب المركز والمعهد ، وقد فشل مشروع المجلة قبل إكماله سنته الأولى رغم الأموال التي دفعت لإحيائها فقالت لماتيو مستسلمة للفشل : الأفضل إغلاقها وتصفيتها وقد أتوظف في معهد اللغة كما وعدت .

فقال بدون اكتراث : الأمر عائد إليك .. أنا مستعد لدفع المزيد من المال من اجل حبنا وابنتنا

ضحكت وقالت : كم احبك واحب شهامتك!

ـ شكرا وهذا من حبي لك أيضا وحتى لا تشعري بالملل والضجر من ترك العمل فأنت أم ريتا الصغيرة وقد قبلت بي رغم كل عيوبي نحو النساء وتصمتين على عيوبي

قالت بتردد : لماذا تحب بنات الليل اكثر من غيرهن ؟

ـ تعودت على ذلك في حانات إيطاليا منذ مراهقتي وحتى أن أبي باهر شجعني على ذلك فقال لي يوما : لا تقم علاقة مع متزوجة قد تتسبب بطلاقها ولا بنت عائلة فهؤلاء قد يسعين لإقامة

علاقة دائمة وزواج وطلاق ومال .. إلا اذا أحببت الاستقرار وترك الزنا .. وقال فبنات الليل والمومسات تتخلص منهن بسهولة ودون عواقب كبيرة .. فالمال غايتهن لا يبحثن عن المتعة هن يبحثن عن المال وإسعاد الرجل مدة العلاقة

فكرت بفلسفة والده نحو بنات الليل وقالت : تعليل جيد وهل تستمع معهن ؟

ـ إلى حد ما .. العلاقة غايتها الأولى والأخيرة قضاء شهوة وانتهى .. بالطبع العلاقة معك امتع لأننا نتشارك فيها روحا ليس لمجرد قضاء الرغبة

قالت بوقاحة : ألا تشعر بألم لإقامتي علاقة مع غيرك ؟!

تمهل رويدا ثم أجاب : لا ، ولا تعتقدي انني قواد لا يغار كما يحدث هنا من مشاجرات وعنف وغيرة وحتى قتل ، والسبب لأني لا اعتقد أن امرأة في أوروبا لم تخن زوجها حتى أمي ريتا .. فعلينا أن نغض الطرف أو لا نتزوج .. لعلك لا تشبعين رغبتك مني .. صراحة أقول لأن هذا احد أسباب الخيانة الزوجية عدا الانتقام !

صمتت تتأمل فلسفة السكوت عن مضاجعتها لغيره دون اكتراث وقالت : حتى لو مع جون أو فرانك

ـ اعلم انك مارست الجنس معهم هم حدثوني بذلك لا تظنني انني غبي وجاهل

ـ اعترفوا لك

تبسم وقال : لست غبيا أو قليل الغيرة يا سندرة .. هكذا تربينا نحو العلاقات الجنسية .. اعلمي من نظرتي إليك اعرف خيانتك للفراش.. لست ساذجا يا سندرة ..أنت كأنك ولدت في فلورنسا فقط أصبت بالدهشة من سقوطك السريع كأنك تعاشريهم من سنوات

ـ أليس ذلك بسبب هجري لأيام ولمصاحبتك للمومسات ؟

ـ لا ، لا ، لما خطبنا وتخالطنا ادركت انك جوعى للجنس بسبب البيئة ربما

ـ جوعى للجنس ! مرات معدودة مارست فيها الجنس يا ماتيو كما تذكر

ـ ورضيت أن أعاشرك قبل العقد يا سندرة وقبلت بالحمل دون عقد

قالت : لكني أحببتك فعلا والزواج لإطفاء الرغبة والا لماذا يتزوج الناس ؟ وأخذت على نفسي لما فهمتك فهما جيدا عهدا ألا أغار أو أحاسبك على علاقتك خارج عش الزوجية كما وضحت لي حياتك العشقية وأن الزواج مسألة أدبية أمام العيلة الكبيرة

ـ أنا قلت لك الزواج صورة عندي لم اشعر به من حرج في زيارة أقاربي ونسوانهم ورغبتهم بتزويجي

***

ناقشت رندة مع زوجها باركر بعد تفكير معمق سقوط سندرة في الخيانة الزوجية باعترافها لها شخصيا وسكوت ماتيو عن فعلها فقال معقبا ومندهشا : لماذا فعلت ذلك ؟

ـ بزعم كثرة سفر ماتيو ومعرفتها من أصحابه عشقه للمومسات وتعاطيها الشراب حتى الثمالة والحشيش .. هذه الأسباب التي ذكرتها سببا للخيانة

فقال بألم وهو يمسح عينيه من غباش : أخبار مؤلمة .. سندرة تفعل ذلك صدقي انني مندهش للغاية ؛ فأنا كنت انظر تأخر زواجها كرهها لهذه العلاقة وضعف الرغبة لديها

قالت بألم هي الأخرى : بل كشف لي أنها فعلت ذلك مع مهندس من سنوات ولما سقطت من عينيه وسلمته جسدها ضحك عليها ولغى فكرة الزواج منها ، ثم مع طبيب ثم غدر بها .. لم أكن أتخيل أنها فاسدة لهذه الحد وأعجب من تأخر زواجها !

ـ لا تبكي ، أنا مثلك اشعر بالألم والصدمة ـ وقدم لها منديلا ورقيا ، تناولته وأخذت بمسح الدموع التي سالت على خديها ـ وما الحل في الفضيحة القادمة .. ستجن امك وزياد ما رأيك أن نناقش القصة مع المهندس فارس أبو دلال قبل ظهور الفضيحة أجلا أم عاجلا ؟

تنهدت أسفا وحزنا وقالت : اذا علمت أمي ستجن جنونا حقيقيا .. خطر في بالي إشراك فارس ولكن ماذا سيفعل ؟ سيصدم كما صدمنا

ـ هي تستخدم مانع الحمل ؟

ـ تستخدمه من أيام الجامعة .. هي هذه الأيام تستخدم ما يسمى اللولب .. فزوجها اكتفى

بالبنت التي حملت بها أثناء فترة الخطوبة رغما عنه كما يقول كان يعتقد استخدامها لموانع الحمل
ـ لم تكن بكرا عند الزواج كما قلت عاشرت مهندسا وطبيبا على امل الاقتران
ـ لا ، فقدتها قبل مشروع الزواج وسلمت جسدها لماتيو حتى حملت فاسرعا بالزواج والسفر
قال متنهدا : هل نصمت ؟ واذا تدخلنا ماذا سنفعل مع شابة ناضجة ؟.. والغريب صمت ماتيو .. أليس كذلك ؟ امر مستهجن
ـ أنا منذ عرفت منها الهبل عرضا قد سألتها مباشرة فاعتبرت الأمر شيئا طبيعيا .. وزعمت أن أصحاب ماتيو اعترفوا له باتصالهم بها قبل أن تصارحه هي بنفسها
ـ هل كان هذا الزواج خطأ ؟
ـ هو كان صريحا من البداية .. يرغب بامرأة كمنظر أمام العائلة حيث يكثرون كلما رأوه تزوج تزوج
ـ حقيقة يا رندة الأمر مقلق .. ستأتي لحظة الفراق والانفجار .. هل اصف قريبه يعرف عنهما ذلك
ـ لست ادري .. لست ادري !
ـ على فارس أن يعرف ؛ لعلنا نجد شيئا عنده ، وتبتعد عن مثل هكذا علاقات .. فالرجل يتحمل مرة مرتين وبالأكثر ثلاث اذا كان ضعيف الغيرة مثل ماتيو .. على فارس الشقيق الأكبر المعرفة حتى لا تصدم امك بمثل هذه الأخبار .. أما بالنسبة لاصف ننتظر مشاورة أبي دلال حتى يشاركنا في أي فضيحة ستحدث .. لن يسكت ماتيو طويلا على خيانتها ، لو ابدى تساهلا كما ترى سندرة فلن يقبل أن يدخل ويجد معها رجلا
ـ لحتى الآن كما فهمت منها علاقتها وانحرافها خارج بيته في شقق رفاقه
ـ موقف مثير ويسبب الاشمئزاز .. المرأة التي لم يعجبها زوجها فلتطلب الطلاق .. اذا شاع الخبر وانتشر لن يظل الرجل صامتا حتى ولو كان ديوثا سيتخذ موقفا حادا أمام أقاربه !

***

لم تستطع رندة تحمل خيانة سندرة رغم برودة زوجها ماتيو نحو تلك الخيانات فكاشفت شقيقها الأكبر فزارها وحده وسمع هواجسها واعترافات سندرة لها ، وكان يسمع وهو لا يكاد يصدق سقوط أخته هذا السقوط المريع فقال لباركر : أليس هذا مخيفا ؟ كنا نظن أنها زاهدة في الرجال .. كيف وقعت في الغواية ؟ هل دفعها الرجل لذلك ؟

قالت رندة رافضة لتلك الوجهة والفكرة : لا ، لا ، هي من نفسها أقامت علاقات معهم بحجة الانتقام وفقد سيطرتها على نفسها من كثرة السكر ورغبتهم بمضاجعتها وتحججت بكثرة سفره وسياحته .. ولا تنسوا الفراغ والوحدة كما تزعم .. ونسيت أنها هي نفسها تكثر من السفر إلى إيطاليا بحجة العمل مع موظفي المكتبة والمعهد ورؤية ريتا الصغيرة

خيم الصمت عليهم لبضع دقائق ثم همس فارس : أنا مصدوم فعلا من كل هذه الأخبار .. قد تموت أمي اذا سمعت ذلك الخبر وذلك السقوط وهي تعتقد أن ابنتها من اشرف نساء العالم فلابد لنا أن نحجب عنها هذه الأخبار ؛ لكن اذا انتشر سينقل لها بعدة طرق

قال باركر : نعم اذا علمت ستكون كارثة .. وهل اذا خانها الزوج يلزم أن تخونه ؟ هذه نظرية غير صحيحة .. فالانفصال اشرف ..فكلنا يشرب ويحشش أحيانا فهل نسلم أجسادنا للغواية ؟ .. منطق غير سليم .. لا احد يجبر امرأة على الزنا وإلا يعتبر مغتصبا ومجرما في قانون الحركات النسوية .. هل نناقش الموضوع معها يا فارس ؟

بعد صمت جديد وإشعال سيجارة وتناول كأس الشاي من الخادمة وقال : هل نصحت لها يا رندة ؟

ـ الحقيقة صدمت من اعترافها لما سألتها عن تلك العلاقات وكذلك صمت ماتيو ادهشني ذلك حقيقة .. سأتكلم معها وأبين لها خطر انكشاف علاقاتها للعائلة ولأمي خاصة مع أني لمست أنها لا تهتم للعائلة بشيء ولا بسمعة العائلة ولا بأمها المريضة

فقال فارس : علاقتك بها قوية من أيام الجامعة فأرشديها على البعد عن الخيانة الزوجة فستأتي لحظة ويغضب ماتيو حتى ولو كان نصف اجنبي .. للصبر كما نقول حدود

باركر مذكرا : الأجانب لديهم غيرة مثلنا ، وكم قرأنا أو سمعنا عن جرائم قتل بسبب الغيرة على الحبيبة أو الزوجة .. فالغيرة فطرة في الناس ونعترف بتفاوت قدرتها بين شخص وآخر وشعب وآخر .. علينا ألا ننكر ذلك .

قالت مقرة : الغيرة موجودة في كل الشعوب؛ ولكن المعايير والضوابط هي التي تتفاوت .. حتى أننا نسمع أن السكران يغار على بناته وأخواته وعشيقته

قال باركر : عليك فعلا أن تناقشي الموضوع معها ؛ لعلها تعدك بشيء يرفع الحرج عن الأسرة هو لولا أن هذه العلاقات الخاطئة مع هؤلاء الأجانب والا شاع الفعل بين الناس .. أبينهم عرب ؟

قالت : نعم ، لكنهن بنات صواحباتها .. اعتقد واحدة أو اثنتين هاتين عرفتها في بعض سهراتنا معهم .

***

كان الزوجان يجلسان في مكتب ماتيو المنزلي ليلا حيث توجد طاولة المكتب المستوردة من إيطاليا وخزائن كتب ومجلات في احدى واجهات المكتب ومقاعد إيطالية كان ماتيو يحب إظهار تعلقه بروما بمثل هذه الأشياء والكماليات حتى تجد أن غرفة نومه وغرفة الجلوس ومطبخه كله أدوات إيطالية الصنع ، وكانت واجهة خلف كرسي المكتب معلق عليها صور عائلية له في روما أو البندقية حيث كان يقضي وقتا من السنة في بيت خالته وزوجها الطيار العسكري ومرات في بيتهما في ميلانو ، فكانت الخادمة تضع أمامهما الشراب وقالت سندرة : لماذا تهتم كثيرا بهذا الزائر ؟ وتجلس معه في غرفة المكتب على غير العادة ؟ ولا تجلسان في غرفة الاستقبال .. وتستقبل كل الزوار في غرفة الاستقبال .

نظر إليها ببسمة صغيرة وقال شارحا : هذا الدكتور سويدي وهو عالم كبير في بلده تعرفت عليه في روما أثناء عملي في الصحافة هو محاضر كبير في بلده ، وعرفني عليه أول الأمر أبي باهر وهو رأس كبير في الماركسية الأوروبية ولا تنسي أن أبي ماركسي وكذا أمي .. فهو كلما أتى روما أو إيطاليا يلتقي بي ، وأقوم له بمهمات خاصة مقابل مال ؛ لأنه يخشى أن يعتقل من قبل خصومه وأعداء الشيوعية فيتحرك بحذر شديد .. ولما كنت ازور السويد ازوره وابنته كانت احدى عشيقاتي .. هي ابنته بالتبني .. تزوج سويدية ثم انفصلا قديما ربما قبل أن نولد .. ولما جئت هنا ظلت الصداقة ممتدة مع الأسرة فلما يأت زائرا محاضرا يحب اللقاء بي ساعة من الزمن من ذكريات الوالد .. ولصداقتنا .

ـ منذ زواجنا حضر مرة أو مرتين

ـ هو يأتي ليلا أو بعد أو قرب منتصف الليل لقضاء ساعة معي وينصرف فمن اجل ذلك اعتذرت لفرانك وفرجينيا عن حضور حفلة الموسيقى في نادي موسيقى ميونخ

ـ أنا حدثتني كاميليا عن الحفلة الخاصة بالأجانب ودعوتهم من قبل الجالية الألمانية ورحبت بدعوتها ولأنك فاجأتني باعتذارك لأهمية موعدك مع الدكتور السويدي اعتذرت لاحقا

ـ أنا اعتذرت عن نفسي ؛ ولكنك أحببت أن تكوني معي في استقبالنا للدكتور جوزيف هوفمان

ـ استحييت أن اذهب بدونك

قهقهة عاليا وقال : هذه نغمة جديدة سندرة ! منذ قويت صداقتك مع رفاق المركز وأنت تذهبين بدوني .. ما وراء هذه النغمة الجديدة سندرة ؟!

ـ والله أنا احب صحبتك؛ لكنك مرات كثيرة تعتذر عن السهرات الرباعية أو الخماسية

ـ إنها مرهقة ، وأنا ما زلت أعاني من المرض الذي ضربني في رحلتي الأخيرة

ـ أمي مريضة مصابة بالإنفلونزا على ذكر المرض

ـ صباحا نمر عليها قبل دخول الشركة

رن جرس الفيلا فقالت : لعله هو وأشارت للخادمة بفتح البوابة

ونهض ماتيو وترك المكتب وبجواره سندرة لاستقبال الزائر الغريب الذي تقدم باسما وفي يده حقيبة يحمل فيها أوراقه وسلم عليهم وحنى رقبته لسندرة وقال : المدام هنا كيف أنت؟

ـ أهلا دكتور جوزيف

ومشوا نحو المكتب وجلسوا على مقاعد بجوار بعض وكان الحديث بالإيطالية كالعادة وأحضرت الخادمة الشاي وبعض قطع البسكوت والحلوى الصغيرة الحجم وتحدثوا حول الأخبار العالمية وأحداث أمريكا والبوسنة والهرسك وصربيا والقاعدة والجهاد العالمي الاحاديث التي لا يحبها ماتيو كما تعلم سندرة ، وتدرك انه لا يتحدث بها بهذه الافاضة الا مع هذه الرجل القادم من السويد وتحدث عن الفندق الذي ينزل فيه وعن الجامعة التي سيلقي محاضرة فيها ، ثم أحضرت الخادمة القهوة التي أشرفت على تجهيزها سندرة عن رغبة ماتيو بزعم إكرام جوزيف بعد أن اعتذر عن الشراب وحوالي الساعة الثانية عشر ونصف غادرهم الضيف حاملا حقيبته وأثناء قيام سندرة بإعداد القهوة قد تناول ماتيو كتابا خاصا منه ووضعه على المكتب شاكرا له الهدية ولما انصرف الضيف قالت سندرة : ما هذا الكتاب الذي كان على المكتب ؟

ـ هذا كتاب سويدي اعتقد هدية فهو يعلم شغفي بالقراءة بحكم عملي فترة بالصحافة خاصة قبل عملي بالتجارة لأنني عملت بالتجارة بعد موت والدي أو قبل موته بقليل

قلبت صفحات الكتاب الجميل وقالت : أتقرأ بهذه اللغة ؟

ـ لا ، افعل كما فعلت قبلا ، ادفع به لمكتبة المركز عند الشباب واسمع تلخيصه من كاميليا وهو حسب كلام الدكتور عن الثقافة في الدول الإسكندنافية

ـ كاميليا تعرف السويدية

قال ضاحكا : القليل منها ؛ لكن لها أصدقاء من جاليات أوروبية فتعطيه لاحدهم فيلخصه لها وتنقل لي الخلاصة ، واذا له ترجمة في إيطاليا أو بريطانيا تحضر لي نسخة تبادل الثقافة فكثير من كتب السويد تترجم للغة البريطانية بصفتها لغة عالمية أو الأمريكية

تثاءبت ونظرت للساعة الإيطالية المعلقة على الجدار : ألا نذهب للنوم ؟

ـ حسنا ! قليلا واتبعك

ـ أنا في انتظارك مشتاقة لك .

خرجت وقد قامت الخادمة بتنظيف المكتب ونقل أكواب القهوة ، ولما دخلت غرفة النوم لبست ملابس الليل وتبرجت تبرج الأنثى لزوجها ، ولما تأخر ماتيو تركت الغرفة تبحث عنه فإذا هو في صالة الاستقبال يتحدث في الهاتف .

***

تلقت سندرة هاتفا أثناء عملها في شركة ماتيو كمساعدة ونائبة عنه في غياباته الكثيرة اذا لم ترافقه أو اعتذر لها عن صحبتها في رحلة ما فرفعت السماعة ولما عرفت المتصل رحبت بأختها فهي تعتبرها اعز صديقة لها في العائلة ولا تكتم عنها سرا من أسرار حياتها وساعدتها في اجتياز الكثيرة من المزالق القانونية حتى أن أختها رندة أخذت تشعر بأنها تخفي عنها أمرا خطيرا منذ تعمقت علاقتها بشباب المركز الثقافي والمعهد الذي يعلم اللغة الإيطالية للشباب العربي حتى أنها لاحظت ضعف اللقاء بها مؤخرا أو زيارة مكتبها القانوني لتبادل أخبار العائلة أو شرب

الشاي في بيتها مع باركر والثرثرة ، ولم تكترث رندة كثيرا لذلك وعللته بانشغالها في مكتب ماتيو وإدارة الشركة قالت سندرة : ترغبين بالجلوس معي في بيتك .. هل من امر ؟

ـ احب أن اسمع أخبارك بعد أن صدمتيني بأخبارك الماضية

ـ لا تهتمي بأخباري الصادمة لا ادري كيف فضحت نفسي أمامك؟

ـ أنت خشيت أن ينقل لي ذلك من غيرك .. من ماتيو مثلا ..حقيقة تفاجأت جدا باعترافاتك المشينة ..متى تحضرين ؟

ـ لماذا ؟

ـ حدثت فارسا فتضايق وطلب مني نصحك وتبصيرك وخشي على حياة أمي من سماع هذه الأنباء .. مري الليلة لنناقش القضية

ـ اذا لم يكن لدينا سهرة عزيزتي سأسمع إرشاداتك يا عزيزتي .. رندة أن اليوم امرأة لها بيت وزوجة

ـ اعرف

***

منذ بزوغ الثورة الجنسية تمسكت النساء الغربيات بأفكار "مارجريت سانجر" وهي المرأة التي دافعت عن الاختلاط والجنس خارج الزواج ، وعن موانع الحمل لممارسة الجنس الأمن ، وعن الإجهاض عند الطلب، إن قبول هذه العقلية المضادة للحياة والمرأة مزقت الرابطة التي تربط المرأة بطفلها، وأضعفت علاقتها مع زوجها بسبب القتل العمدي للحياة التي كانت ستضيف إليهما شيئا جديدا ، اعتبرت النسوية أن قتل الخصوبة عبر استخدام مواقع الحمل الصناعية، وتأييدها للإجهاض نصرا للنساء إنه في واقع الأمر قتل بدني وعاطفي للمرأة.

مارجريت سانجر ناشطة وممرضة أمريكية اشتهرت بتحديد النسل، افتتحت أول عيادة تحديد النسل في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنشاء المنظمات التي تطورت إلى الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة في أمريكا.«وقد ساهمت جهود سانجر في العديد من الحالات القضائية التي ساعدت

في إضفاء الشرعية على وسائل منع الحمل في الولايات المتحدة .

أوضحت الدراسات أن موانع الحمل والإجهاض تزيدان من مخاطر تعرض المرأة لمرض سرطان الثدي ، ستون في المئة من النسوة اللواتي قمن بعمليات إجهاض يعانين من اختلالات ما بعد الصدمة، ومن الضغوط الأخرى التي دفعت بعضهن إلى التفكير في الانتحار إن استخدام موانع الحمل لا يؤثر فقط على عملية تبويض المرأة فقط ؛ ولكنه يؤثر على جدار الرحم كذلك، فيجعله رافضا للجنين وغير قابل لزرعه فيه، وهنا سيموت الجنين حتما لأنه وأمه لا يحصلان على التغذية الحيوية اللازمة لهما.

لقد أصبح الإجهاض واستخدام موانع الحمل الصناعية أكثر انتشارا وأكثر شيوعا وأكثر قبولا وتزع مجانا في مراكز الصحة في الدول النامية ومن منظمة الصحة العالمية ، وهذا كله أدى إلى أن تشعر المرأة بأنها غير مسؤولة عن أفعالها، كما جعلت الرجال أكثر استعدادا للدخول في علاقات غير شرعية مع النساء ، وهم مطمئنون من حدوث الأبناء غير الشرعيين والمحاكم والقضايا ، ويمكن القول من هنا أن الحركة النسوية شجعت المرأة على ملء الفراغ الذي تركته العلاقات المشروعة بعلاقات مؤقتة وغير مشبعة نفسيا وعاطفيا.

فقدت أكثر من نصف المراهقات الأمريكيات عذريتهن، ولم يستكملن السابعة عشرة من أعمارهن، ونظرا لأن استخدام موانع الحمل لم يعد يحول دون انتقال الأمراض الجنسية، أصبح هناك اليوم ثلاثة ملايين مصاب بهذه الأمراض التي تزيد عن عشرين مرضا جنسيا ، لقد قادت عقلية استخدام موانع الحمل إلى عقلية الإجهاض، هجرت النساء الزواج؛ لأنه يلزم الزوجين بتحمل المسؤولية والإخلاص، وبطاعة المرأة للرجل.

وطبقا لتقديرات مكتب الإحصاء الأمريكي ارتفعت نسبة ربات البيوت غير المتزوجات أكثر من ٥٠٪ من الزيجات الحالية دخل الزوجان مع بعضهما في علاقة جنسية قبل الزواج باسم التجربة ، لقد أدى استخدام موانع الحمل إلى تصدع الزواج، وانتهت نصف حالات الزواج إلى الطلاق، لكن الإحصائيات تثبت أن نسبة الطلاق في حالات الزواج المشروع لا تتعدى ٥٪

الزواج أصبح في قانون النسوية للمتعة فقط وليس للإنجاب، وإذا أردن الإنجاب فليس الإنجاب مطلوبا إلا الطفل أو طفلين أو شراء أو تبني طفل .

ويلعب عدم الاحتشام دورا أساسيا في الفكر النسوي الحديث، شجع هذا الفكر النساء على الاختلاط، فأصبحت التنورات (الجينات) أقصر، وأصبحت البلوزات أضيق وأقصر جدا وانتشر البكيني على سواحل كل الدول ، وأصبح جسد المرأة مهيئا للجميع ، إن تعرى المرأة دعوة لكل ناظر للتشهي والغواية. لكن هذا التعري نفسه أدى إلى عدم احترام الزوج لزوجته ، وأصبحت زوجته بالنسبة إليه موضعا للمتعة فقط، ولم يعد ينظر إليها على أنها شريكة لحياته.

لم تقف سلبيات النسوية الحديثة عند حد الأسرة، بل امتدت إلى أماكن العمل والنظام التعليمي والحكومة والجيش ، إن هذا لا يعنى دعاء النساء لترك أعمالهن ووظائفهن ، فلا يجب بأن تعلو متطلبات عمل المرأة على متطلبات المنزل والأطفال والأمومة.

هناك العديد من الأدلة على أن بقاء المرأة في البيت متفرغة لأسرتها وأطفالها أكثر إيجابية من تفرغها لعملها، فإذا كان هذا ممكنا فلا شك أنه الاختيار الأفضل.

إننا أكثر حاجة اليوم إلى التأكيد على كرامة المرأة ومصداقيتها، إن المرأة لا تساوي الرجل هذه حقيقة، لكن رغم ذلك فإن النساء لهن مواصفات مختلفة وجميلة يجب أن تعض عليها بالنواجذ إن للنساء قوة غير عادية للتأثير على الرجال.

***

أخبرت ماتيو عن رغبة رندة باللقاء بها فغادرت المكتب قبل إنهاء الدوام بساعة أو اكثر قليلا حسنت مكياجها قليلا ثم ركبت سيارتها إلى شقة رندة وباركر ، فوجدتها في انتظارها وبعد الضيافة استأذن الزوج ودخل مكتبه ليراجع بعض الأبحاث أو القضايا ، أشعلت كل واحدة منهما سيجارتها وقدمت لها كأسا صغيرا من الشراب ليزول التوتر والانقباض البادي على وجه سندرة فقالت : أنا احبك سندرة .

ضحكت وقالت : لا اشك في ذلك فأنت صديقي المكرمة من بين الإخوة

ـ الحمد لله ، أنا صدمت من أقوالك عن حياتك الخاصة المرة الماضية حتى اضطرت أن أناقش الموضوع مع زوجي أولا ثم مع فارس .

ـ لماذا فعلت ذلك وفضحتيني لباركر وفارس ؟ أنا اعتبرته كلاما عابرا

ـ لم أتحمل اندفاعك إلى هذه الدرجة في العلاقات الآثمة .

ـ زوجي راضي

قالت رندة بتوتر : سوف يثور مهما تحمل .. واذا حدث الطلاق بينكم سيعلم الناس السبب سينشره .. وتصدم أمك بالسبب والحقيقة

ـ ألا يجوز أن يعامل بالمثل ؟

قالت بجنون : هذا هو تبرير الخيانة الزوجية ؛ ولكن النتيجة اثرها عليك اكثر يا سيدتي ستصبحين في نظر العائلة والأصدقاء امرأة تبحث عن الجنس .. فكيف سقطت فعلا ؟

ـ الغواية ، أليس هو الذي سمح لي بالسهر معهم على انفراد ؟ قل من مرافقتي .. والشباب يبحثون عن المتعة .. ومانع الحمل يساعد الفتاة على السقوط بدون تفكير .. فهي لن تحمل فليستمع الجسد ؛ إنما هي ساعة من التغيير

ـ وهم رضوا بخيانة صديقهم ببساطة

ـ فالفتيات سلمن انفسهن لماتيو من قبل زواجنا علمت ذلك منهم

ـ هؤلاء الأمر بالنسبة طبيعيا وتقليدا شائعا بينهم لا عائلة تتأثر بزناهم وفحشهم .. كل يعيش بمفرده ويتحمل تبعات تصرفه وأخلافه .. صدقي لو تعلم أمي قد تموت غيظا وقهرا .. رغم ما نحن فيه من تأثر بالحضارة الغربية ؛ لكننا في الناحية الجنسية لا نحب التساهل فيها وننخرط مع كل الرجال .. فاتخاذ العشقيات أو العشيق ننفر منه سندرة

ـ ألا يحق أن افعل مثله ؟!

ـ من ناحية المثلية يحق لا لوم ، ومن حق العائلة لا يحق ، هو بمجرد ابتعاده عنك لا بتأثر انتهى الأمر .. ومهما صبر على الانحراف ستأتي لحظة وتصبحين مجرد زوجة

ـ ما أنا مجرد زوجة تأكل وتشرب حتى بتصدق عليّ بليلة رغم التبرج وزيارات صالونات التجميل وشراء ملابس الإغراء

قالت : اعتقد أن هذا نتيجة معرفته بأنك تشبعين رغبتك من غيره ، ولم تكتفي به

ـ لا ادري ! عندما نثمل ولا يكون في البيت امل من الفراغ والوحدة فاقبل دعوتهم لقضاء الليل معهم وانسى نفسي وأعيش معهم .. سلبوني السيطرة على نفسي

ـ دعيهم .. ابتعدي عنهم

ـ صرت صديقا لهم في المركز لما تعلمت لغتهم ، وصرت أرافقهم إلى روما بحجة زيارة ابنتي ريتا التي لا يرغب بمجيئها إلى هنا

ـ لماذا ؟

ـ يريدها أن تتعلق بروما اكثر من هنا .. وكنت مفتونة به وبحبه في البداية فمها طلب انفذ وطريقة حملي بها جعلتني اصمت على بعدها عنا ..وحقيقة عشت معه أول سنة زواج ملكة ؛ لكنه ملني ومللته . . وانزعج من علاقاته الغامضة والتي لا يحب أن أسأله عنها

ـ لم افهم علاقاته الغامضة!

ـ يتلقى رسالة ورقية أو هاتفا فيقول أن هناك مهمة .. ما هي المهمة لا ادري؟! .. فيدعي أحيانا أنها صفقة شراء سيارات معروضة للبيع بسبب إغلاق مصنع أو شركة

ـ ما هو تاجر ، ولم يكن هذا جديدا كما علمت منك قديما من أول أيام الزواج .. المهم حبيبتي حافظي عليك بيتك وسمعتك من اجل أمي .. فأنا أو فارس لا يحق لنا أمرك بشيء .. فأنت امرأة عاقلة واعية .. لا تستسلمي لغوايات الرجال .. فهم يعيشون كما تعرفنا عليهم بغير زواج أو ارتباط ما دامت النساء تقدم لهم خدمة المتعة فلذلك ينفر الشباب الغربي من الزواج

مرت لحظة صمت وصفون ثم قالت : لا استطيع أن أعدك بشيء .. تعودت عليهم وعلى مركزهم ومسرحهم وناديهم فحتى سمحوا لي بمشاركتهم مناقشة أفلامهم ومحاضراتهم والمشاركة بشراء الكتب وزيارة المعارض بصحبتهم وطلباتهم

قالت رندة باستغراب : لليوم أنا حائر بها اخترت؟ كيف اخترت هذا الدرب ؟ وأنت أشرت وبينت أن الرجل لم يطلب منك ذلك القبح ؛ بل منزعج منك ، واخذ يتهرب كثيرا من سهراتهم واعتقد بسبب استسلامك لهم وتصرين على الذهاب وحدك .. فهذا يؤكد انه لا يحب ذلك ، ولو راجعت أول نفور منك ستجدينه عندما اخبروه باستسلامك للنوم معهم .. فهم خشوا رده فعله معهم فاعترفوا له .. فاعتقد انه ابتعد عنك بعد ذلك وقل اتصاله بهم

ـ لم افكر في ذلك

ـ راجعي أحوالك وحافظي عليه أو طلقيه بهدوء

ـ اليوم اصبح عاجزا عن معاشرتي

ـ هذه نتيجة ما يعانيه .. فليستخدم الأدوية المنشطة كما يفعل الكثير من الرجال فالضعف الجنسي لدى الرجال مرض شائع

ـ يرفض ويرفض العلاج .. فقد أصبحت علاقتنا صعبة ومرهقة

ـ اذا ابتعدت وادرك انك عدت إليه سيهتم بأمر العلاج والأدوية

***

الحمل الجديد

تفاجأ ماتيو يوما بأنها تخبره بحمل جديد مما أصابه بصدمة ودهشة ولم يرحب به فقال مصعوقا مستغربا ومبحلقا بعينيها : ألم نتفق على حمل واحد كل خمس سنوات ؟! وطفلتنا عمرها ثلاث سنوات وكم شهر ؟ولم نحتفل بزواجنا الخامس بعد !

قالت بأسف : لا ادري كيف حصل الحمل يا حبيبي ؟! وانا كنت حريصة ألا احمل قبل انقضاء السنوات الخمس وقد بقي بضعة شهور للخامسة

ـ هذا الكلام يدل على انك راغبة بالحمل فور مضي السنوات الخمس .. صاح صارخا : سندرة لا أريد أي طفل ذكرا كان أم أنثى أخرى .

ـ أنا احب ذلك بعد زمن قصير قد اعجز عن الحمل للابد .. أنت يمكنك أن تنجب لو بلغت مائة سنة .. انني احب الأطفال وافكر بإعادة ريتا قبل دخولها المدرسة .. صدق انني حملت مرغمة لم افكر بذلك .

وهي تعلم أنها كاذبة ؛ لأنها أزالت لولب منع الحمل ولم تخبره بذلك ؛ اللولب احد وسائل منع الحمل المنتشرة بين الفتيات سبب لها بعض المشاكل في الرحم ، فكل الموانع ووسائل منع الحمل تسبب مشاكل صحية وقد تكون سببا لسرطان الثدي وكذلك الإجهاض المتكرر ، ونصحها الطبيب الخاص بها برفع مانع الحمل فترة من الزمن لتخف المشاكل الصحية التي تعاني منها ومن الجماع ولم تمتنع عن المعاشرة الزوجية بعد إزالة المانع ، وأدرك ماتيو أن هناك خطبا ما فتحدث مع طبيبها خوص مباشرة وعرف منه نصيحته لها بإزالة اللولب إلى حين وانها تواجه مشاكل في الرحم ولم تنته بسحب المانع ، وانزعج ماتيو لعدم مشاركته تلك المعلومة حتى يستخدم الواقي الذكري أو اخذ ابر منع الحمل أو وسائل منع الحمل الأخرى ، وحتى لم تمتنع عن المعاشرة خلال فترة إزالة اللولب ، فهي ظنت في البداية الأمر أن المشكلة ستزول سريعا مع تلك الأدوية التي وصفها الطبيب خوص .

فكانت تقول لأختها المحامية : ارتكبت خطأ قاتلا مع ماتيو !

قالت لائمة : لماذا لم تصارحيه ؟ فكان يمكنه اخذ ابر لمنع الحمل أو مواد تقتل الحيوان المنوي

ـ رأيت انه سيعتبرها فرصة للعودة لبنات الليل ويتهرب من معاشرتي

ـ وهل هو ترك الزنا بترك بنات الهوى ؟ فإذا تركه هنا فهو يمارسه في أوروبا .. أليس هو كثير السفر ؟ من شب على شيء شاب عليه كما يقال

اعترفت قائلة : أصدقك الكلام رغبت بالحمل عسى أن يتعافى الرحم ؛ كما لمح الطبيب خوص لي اكثر من مرة ؛ لأن الحمل مانع طبيعي ومعالج افضل من الأدوية للرحم ونصحني أن أتفاهم معه حول ذلك ، وأنت تعلمين أنه يكره الحمل وحتى طفلتي ريتا صدم لما حملت بها فهو يكره الأطفال لديه عقدة لا افهمها ..

ـ ما هو سبب مشاكل الرحم عندك كما يقول الطبيب؟

تنهدت وقالت : أصدقك الحديث وكما أخبرتك من قبل .. لما رأيت ماتيو يعاشر الكثير من النساء غير مبال بي سمحت لنفسي بمعاشرة غيره كما أخبرتك بذلك من قبل .. فأنا لن احمل من احد فأنا وهم نأخذ بأسباب عدم حدوث ذلك ، فلما زادت آلام الرحم فبين لي الطبيب خطر تعدد المعاشرات من رجال مختلفين ، قد يكون لدى بعضهم أمراض جنسية سواء بكتيرية أم فيروسية واكتفيت بصدقة ماتيو عليّ ولما لم يتحسن وجع الرحم نصحني الطبيب بالحمل والتفاهم مع زوجي ؛ ولكني تفاجأت انه كان بهذه السرعة .

ـ عالجت الخطأ بالخطأ ..كم طبيبا استشرت ؟وأنت تعرفين انه ابن روما وهناك اللقاء بالنساء امر ميسور وبأي إشارة منه لفتاة ملهى ستلحق به لشقته .. ونصحت لك قبل الزواج أن تفكري جيدا قبل الارتباط به وضعفت وسلمت نفسك له قبل عقد زواج شرعي وحبلت والان ما العمل ؟

ـ لم اتحدث مع غير طبيبي خوص .. ماتيو يلمح بالإجهاض ويصر عليه .. وانا لا ارغب فيه فالطبيب يقول قد يتضاعف مرضي بذلك الإجهاض أنا في حيرة .. أترين كان زواجي منه غلطا؟

قالت : هو كان واضحا معك في خطة حياته قبل الارتباط ، وذكر لك كما قلت لي إن له علاقات نسوية دون قيود وأنت مجرد زوجة أمام الأسرة وأن الجنس امر ثانوي وأنت عشقت حياته وأسلوبه في الحياة والحرية والخيانة ونصحت لك هنا أن تبتعدي عن شلته ومركزك الثقافي مقر الفساد ونشر الرذيلة

ـ لا داعي للوم اليوم ، لي سنوات أعيش معه ، وهو سهل ومرح إلا في مسألة الخلفة حتى ابنته القى بها في حضن امه وأخواته كأنني لست أما

قالت بحزم : ارفضي إذن الإجهاض وتعهدي بأن لا يتكرر فصحتك اهم منه ومن فسقه

ـ تعهدت له بربط الحالب بعد الوضع ، ولم يصدق واخبرني وذكرني من جديد انه يعرف بعلاقتي مع أصحابه ولعله من احدهم وسيعمل له فحص الجينات والحمض النووي اذا أصررت على الحمل .. والدكتور يؤكد أن صحتي في خطر من الإجهاض

ـ من حقه الشك أنا اصدق انك امتنعت عن الزنا أما هو فصعب أن يصدق .. أكيد أصحابه يتحدثون بذلك كما يحدثهم عن علاقاته مع بناتهم وأخواتهم وهل يستر السكر والحشيش شيئا فنحن أيضا نعاني منه

***

التقت رندة باصف وطلبت أن يتشفع لدى ابن عمه بشأن حمل سندرة واختصرت قصة مرضها وإزالتها المانع لأجل العلاج ثم نتج عنه الحمل وخطر الإجهاض على حياتها

فقال صافنا : كان عليها أن تستخدم بديلا عن اللولب فوسائل منع الحمل كثيرة اليوم

ـ لم تكن تتوقع الحمل قبل العافية ولم تكشف امر ذلك لماتيو ظنت أن الشفاء سيحدث سريعا قبل أن يعرف بإزالة اللولب الطبي .. وابن عمك صراحة قليل المضاجعة لها .. فهو أيضا علمت منها يعاني من الضعف الجنسي فلم تظن أن حملا منه سيتحقق

ـ شكى لي ذلك مرة وانه يفكر بالعلاج .. فلو صارحته بالعلة ؛ ربما هو اخذ ابر منع الحمل أو استعمل الواقي

قالت : صحيح ؛ ولكنها أخطأت التقدير والتصرف .. أنا مستعدة لحاضنته وتربيته كما فعل بابنتهم ريتا

ـ جيد سأتحدث معه وأتشفع لها لعلي انجح .. صحيح هو ابن عم وشريك ؛ لكنه مستقر في قراره وهو اكبر مني بسنتين

قامت قبلته شاكرة وتصافحا وافترقا

***

دخلت في مكتبه البيتي حيث كان يدون ويوثق حساباته ودفاتر المحاسبة الخاصة بشركة وبيع السيارات فدخلت عليه وقبلته على خديه ثم جلست مقابلة لوجهه فقال لها : تدبرت امر الإجهاض ..كلما حصل مبكرا كانت مضاعفاته اخف واقل ضررا

ـ أنا بحبك وأرجوك دعه يعيش .. صعب الإجهاض عليّ ماتيو

ـ وانا احبك وما زلت محبا ..واذا لم يكن مني كيف سأقبل حياته معي وادع والده ينجو؟

قالت بانكسار : اقسم انني لم أعاشر أحدا منذ مرضت واذا ثبت انه من غيرك طلقني

ـ ويحمل اسمي حتى لو طلقتك سيدتي سيبقى يحمل اسمي يا سندرة

ـ هل تحدث معك اصف ؟

ـ التقى بي وتشفع في الموضوع بناء على وصية وتدخل من رندة والخشية عليك المزيد من مرضك وبينت له تبريري لموته فاستغرب سكوتي على خيانتك لي وصمتي ولم ارم عليك يمين الطلاق فقال كان يجب عليك تركها لأهلها فقلت أرادت أن تشعرني بخياناتي لها وتنتقم من شخصي وكانت تستخدم المانع الطبي للحمل .. لم تكشف لي خيانتها بإزالة المانع

ـ أنا مخطئة لا انكر .. اعتقدت الشفاء سريعا ثم ارجع لاستخدام المانع ..لا أريده أن يموت وستأخذه رندة وتربيه لن يزعجك صراخه

صرخ بقسوة :أريده أن يموت .. أنت اعترفت لي بإقامتك علاقات جنسية مع رفاقي الطليان خاصة وهم اعترفوا لي دون إنكار أو لف ودوران وكان عليّ أن اسكت عن زناك وخيانتك ؛

ولكن لا اقبل مولودا من غيري

صرخت بجنون : هو منك صدق ذلك.. هي بضع مرات ضعفت أمام إغوائهم

صرخ مثلها ورد : لا اصدق ولا اقبل أن يحمل اسمي ولو احتضنته شقيقتك .. الإجهاض هو الحل المريح لي ولك وحتى استغرب اصف من عدم تركي لك عندما علم بخيانتك لي ..وانا سأرتب لك عملية إجهاض في مستشفى خارج المدينة حدثتني عنه فرجينيا يعمل عمليات الإجهاض للأجنبيات بإذن خاص من الدولة حتى لا يضطررن للسفر لبلادهن ولها قريب يعمل في ذلك المستشفى في بلدة فلفلة فلن تسافري سيدتي وتحدثت مع كذا طبيب وأشادوا بالمستشفى الأجنبي في بلدة فلفة ويسمح به بعمليات الإجهاض قانونا لأنه يتبع دولة أجنبية وتعمل البنات الأوروبيات فيه عمليات الإجهاض دون العربيات إلا بكتاب رسمي من وزارة صحة هذا البلد ؛ لأن الأجانب يمارسون الجنس بدون زواج فيسمح لهم بالإجهاض دون مشاكل قانونية

أخذت بالبكاء ، فتركها في المكتب تبكي واغلق ملفاته وخرج من الفيلا .

***

التقت رندة باصف مرة أخرى بعد أن اتصل بها وحدثها عن فشله في الشفاعة وصارحها بخيانة أختها للفراش فقالت لما التقيا : اعترفت لي ؛ ولكنها منذ مرضت لم تخنه ولو مرة واحدة

قال : يرفض أن يصدق كلامها .. فهي لم تتوقف عن السهر معهم يا رندة ومن الصعب أن يعيش الإنسان مع تقبل ابن يشك بأبوته له

قالت بحيرة واسف : لا ادري كيف سقطت أختي هذا السقوط المريع ؟ ولكن الخطر كبير على صحتها أن زرت طبيبها خوص واكد لي صحة ادعائها بمرض الجهاز التناسلي

ـ هو يرفض أن يحمل الجنين اذا ولد اسمه ولا استطيع أن اضغط عليه لقبوله وهو سكت على خيانتها له ؛ لأنه مثلها في الخيانة الزوجية

ـ وحياة أختي هل تقبل أن تموت أختك ؟

ـ أنا في حيرة ! أختك في خطر من الإجهاض وتخشون على حياتها لكم الحق في الخشية .. وهو يقول امرأة سلمت نفسها لأصدقائي دون موافقة مني حتى أصبحت أضحوكة بينهم .. واصبح المركز حياتها .. فكيف اقبل الولد بعد الولادة ؟ حتى لو خضع لفحص الدي إن إي(DNE) فقد وجد أن موته الآن لا يترتب عليه مشاكل مع القانون .. في الغد أقول ابني لا ليس ابني .. هي أمه بدون شك أما أنا سأعيش بالشك حتى ولو كنت نصف أوروبي

ـ معضلة تحتاج لمخرج !

ـ أرأيت الأمر معقد يا أستاذة !

ـ واذا ماتت

ـ قد لا تموت يا سيدتي ؛ ربما يحدث لها مضاعفات الإجهاض والأعمار بيد الله

ـ ليس بوسعي إلا أن اشكر توسطك الأمر معقد !

***

تحدثت رندة كلف مع سندرة وقالت : الرجل مصمم على الإجهاض والخطأ خطئك

ـ حسن ! سأقبل بالعملية وستكون في البلدة في بلدة فلفلة ، وزرنا المستشفى وهم أهل لمثل هذه العمليات.. فهم يعملون هذه العمليات للفتيات الأجنبيات اللواتي يحملن برغبة لإجبار الصديق على الزواج ولا يقبل الشاب بهذه الحيلة أو تقصير منهن باستخدام الموانع ثم يقعن في الحمل ؟

ـ وأنا تكلمت مع إدارة المستشفى وهم كما قلت أهل لمثل هذه العمليات ولديهم طبيبات وجراحيين ذوي كفاءات والأمر بيد الله .. وأتمنى لك السلامة .. كنت في غنى عن ذلك ..

شرقت بدمعها وقالت : أنا أقر بخطئي بعدم كشف الأمر له ظننت أو غلب على ظني انه عاجز على الأخصاب من الضعف الذي يعانيه

ـ حتى لو ضعف الذكر عن الجماع فالحيوان المنوي قادر على التخصيب في فترة التبيض .. المشكلة أنت مثقفة لابد انك سمعت بتلك المعلومات

ـ لو سمعتها لم أخذ بالي منها

ـ السبب لرفضه الحمل كما قال اصف ليس الحمل بذاته .. السبب علاقاتك مع شباب المركز الثقافي خاصة جون ومارك وتوماسو .. لا ادري كيف سمحت لنفسك بالتعري لهم ؟

بررت قائلة : كثرة اللقاء بهم وحدي والسمر معهم نسيت انني متزوجة من صديقهم .. متى ستسافرين ؟ اسف على شغلك بمشاكلي الخاصة

ـ لا تأسفين نحن أخوات .. السفر قريبا .. سنحضر مؤتمر للمحامين العرب في القاهرة أنا وباركر قد نمكث أسبوعا للمؤتمر وآخر شمة هوا كما يقال فقد دعانا صديق لباركر لزيارته في أسوان جنوب الوادي .. درس معه في جامعة القاهرة وما زالت الصداقة بينهما

ـ أتمنى لك السلامة

ـ شكرا نلتقي بعد العودة .. السفر مساء الغد أدعو لك بألف سلامة

قالت سندرة : رافقتكما السلامة نلتقي بعد عودتكم .

***

كانت رندة تتصل بسندرة كل ليلة على جهاز الموبايل الخاص بها إلا بعض الليالي عندما يكونون في نزهات ويتأخرون في العودة للفندق في مدينة أسوان والأقصر ، وكانت على علم في آخر مكالمة من مصر بأنها ستنطلق في الصباح للمستشفى الأجنبي في فلفلة التي تبعد عن مركز ووسط السوار حوالي مائة كيلو متر ، ولما رجعت للبلد زارت المحامية ليلة بيت أختها وهي في حالة غضب لعدم رد أختها أو زوجها عليها ، فلم تجدها وذلك بعد عودتها من القاهرة فقد أخبرتها أختها من يومين أنها سائرة لمستشفى الأجانب ، ووجدت ماتيو يجلس مع فتيات أجنبيات فقالت بحدة : لي أيام اتصل بأختي ولا ترد !

قام مصافحا وسلم عليها ورحب بها وبسلامتها بالعودة من مصر وعرفها على الزائرات وقال مجيبا: ألم تخبرك بأنها ذهبت في نزهة مع فرجينيا موظفة السفارة ؟

ـ نزهة ! إلى أين ؟

ـ نزهة خاصة ولها ثلاث أيام مختفية

ـ ولماذا النزهة الخاصة؟!

ـ من اجل الحمل الشاذ لعلها عملت العملية في المستشفى الخاص علمت منها انك تعرفين

ـ نعم اعرف ؛ ولكن المستشفى ينكر وصولها

ـ لا ادري ! لعلها غيرت رأيها وذهبت لعيادة خاصة ، ولم تحب أن تذكرها فهي غاضبة لأني أجبرتها على التخلص من الجنين فخرجت ساخطة وظننت أنها ستذهب لفرجينيا لترافقها فلها قريب يعمل في المستشفى

ـ وأين فرجينيا ؟

ذكر لها عنوان فرجينيا وأنها رافقتها من اجل العملية الخاصة ، فقالت : لي ثلاث أيام ارن على هاتفها ولا تجيب حتى أنت لا ترد

ـ لم ارد حتى ترجع .. ذهبت لتلك العملية

ـ التي أجبرتها على فعلها وتوسلت إليك من أجله

هتف محتجا على صراخها : ليس من صلبي يا رندة

صرخت : كيف عرفت انه ليس من صلبك ؟

تطلع إلى الزائرات وقال : اعتذر إليكن قابلنني ظهرا في الشركة لشراء تلك السيارة وصافحهن وخرجن غاضبات من شقيقة سندرة لما عرفهن عليها ولما عادت الخادمة معلنة انصرافهن نظر إلى رندة وقال بحدة : كان عليك أن تتحدثي معي بأدب وهدوء

ـ المهم كيف عرفت انه ليس منك ؟ دعنا من الأدب والهدوء

ضحك وقال : أختك لا تنام معي وحدي

صاحت بشدة وبغض : اعرف قالت لي ذلك ؛ ولكن كيف عرفت أن ليس منك فهي منذ مرضت لم تخنك ولم تعاشر إلا أنت لرغبتها بالحمل لعل داءها يذهب على نصح طبيبك الإيطالي خوص واعلم انك أنت الذي سكت عن اتصالها برفاقك ولم تزجرها يا شريف

ـ أنا لم اقل لها ازني يا رندة .. هي أحبت أن تغيظني فتقول كما أنت تمارس الجنس مع صديقاتك وموسماتك سأفعل مثلك .. ولست أول من جامعها يا رندة لم أتزوجها بكرا وعذراء

ـ أنت قبلت بها على ما كان من ماضيها .. أنت ترى أن الحمل من غيرك

ـ أنا لا أرى أنا شككت فقط ؛ فلذلك رغبت وأجبرتها على الإجهاض؛ لست مستعدا لتربية ولدا اشك ببنوته

ـ أين مكان الإجهاض ؟ لم تذهب لذاك المشفى

ذكر لها عنوان المشفى الأجنبي وهاتفه وهو يعلم أنها تعرفه من سندرة فقالت : الم تتصل بها؟

ـ منذ خرجت اتصلت مرة ولم تجب ، فاعتقدت ما زالت غاضبة ؛ لأنني ألزمتها التخلص من الحمل .

وخرجت رندة ناقمة من قلة اكتراث ماتيو بعملية الإجهاض وحياة أختها متوجهة لبيت

فرجينيا عاملة السفارة الإيطالية التي أنكرت رفقتها لها من اجل العملية الخاصة وقالت : عليك بالذهاب لطبيبها الخاص الدكتور (خوص)

ـ علمت من ماتيو انك المرافقة لها

ـ لم يحصل، أنا ساعدتهم بالحصول على موافقة المستشفى بعمل الإجهاض ، فلي قريب يعمل في إدارة المستشفى يا سيدة رندة

اتصل شقيقها فارس بماتيو قلقا من اختفاء أخته الغامض وإنكار فرجينيا برؤيتها من اكثر عشر أيام ، وكذلك المستشفى ينكر وصولها رغم أنهم كانوا في انتظارها على موعد مسبق بينكم ، فقص ماتيو الأمر على فارس قائلا : يا دكتور فارس أختك خرجت صباح الاثنين لعمل العملية وكانت غاضبة مني وتأمل أن أتراجع في آخر لحظة ، وكان عليها أن تذهب للآنسة فرجيينا لترافقها في الإدخال؛ لأنها هي التي توسطت لنا في ذلك المكان الذي لا يعمل الإجهاض إلا للفتيات الأجنبيات حسب اتفاقه من الوزارة في البلاد . ولما سمعت أنها لم تصل المشفى الأجنبي اتصلت بهم وقالوا لم تحضر وظنوا أن ظرفا منعها من ذلك فلزمت الصمت معتقدا أنها غيرت رأيها وترفض الإجهاض بالإجبار واختفت بإرادتها.

وبعد مناقشة اتفقوا على إبلاغ الشرطة باختفاء سندرة فقال لهم ماتيو : اتفقنا على عملية الإجهاض لتستمر حياتنا الزوجية فقالت سأشاور الطبيب وقالت لي أنها ستأخذ فرجينيا معها أثناء عملية الإجهاض ، فتركت لها الحرية وقبل أن تمضي الأيام الثلاثة جاءتني أختها فقلت لها ذهبت مع فرجيينا ولم تتحدثا معي منذ خرجت غاضبة بلغوا الشرطة اذا كان هذا مناسبا

***

كان جواب ماتيو لأسرة زوجته مريبا ومخيفا لهم وللبوليس المحلي بأنها ذهبت لعملية إجهاض كما اتفقا وموافقة طبيبها الخاص على فعلها واثنى على المستشفى في فلفلة ، وذكر أنها قالت سترافقني فرجينيا ولم يقلق عليها لأنها ستعمل العملية ثم تتصل به ولم يحصل ذلك فلربما كانت غاضبة ،لأنه لم يرافقها إلى موقع العملية وانه غاضبا منها ومن حملها غضبا عنه .

التقى به ضابط تحقيق في مكتبة في شركته للسيارات وعن سبب تقاعسه في الإخبار عن غيابها فقال : حجزنا لها لمدة أسبوع في المستشفى الأجنبي لإجراء عملية إجهاض اتفقت عليها أنا وهي والطبيب الذي وافق على القيام بها لما بررت له أسباب عدم رغبتي بما في بطنها فقلت بعد عودتها من العملية والنقاهة سنتصالح وتعود المياه لمجاريها

ـ لماذا أجبرتها على الإجهاض ؟

ـ لأنها تخونني .. لعله ليس مني فلماذا أعيش في هذا الشك ؟

ـ لماذا لم تطلقها لأنها مصرة على المحافظة حياة الجنين؟

ـ لو طلقتها سيبقى الطفل حاملا لاسمي يا حضرة الملازم ونحن منذ تزوجنا اتفقنا على الاكتفاء بمولود واحد وهي بنت تعيش مع أمي في روما عاصمة إيطاليا

ـ ولماذا صاحبتك فرجينيا تنكر مرافقتها إلى المستشفى؟

ـ لا ادري ! قالت لما خرجت ستأخذ فرجينيا معها فقط لترافقها خلال الطريق ولأن فرجيينا صديقتنا وهي موظفة في السفارة الإيطالية ولها قريب في المشفى وهي التي ذكرته لنا وان هذا المشفى يسمح له بعملية الإجهاض القانونية فقط للأجانب ؛ لأنهم يتعاشرون بدون زواج قانوني ويحدث بينهن الحمل عمدا أو تقصيرا

ـ المستشفى قال لم تصل فأين ذهبت ؟ ولم تخرج من البلاد جوا برا بحرا

ـ منذ اعترفت بالحمل وحياتنا سيئة فقلت لها لما تنته العملية اتصلي بي ومضت ثلاثة أيام دون اتصال منها ولما اتصل على موبايلها لا إجابة فقلت لعلها مغلقة الهاتف وغاضبة لما تعود أتصالح معها

ـ لم تتصل بالمستشفى

ـ لم افعل ذلك في أول الأمر غضبا ونقمة ، وفعلت أختها ذلك بعد عدم ردها عليها فقالوا لم تدخل كما هو مرتب فبلغنا الشرطة وحتى سيارتها لليوم لم تظهر ؛ لعلها اختفت حتى تضع مولودها رغما عني ؛ لعلها ذهبت لمكان آخر أو اختفت لتحافظ على الطفل رغما عن انفي

ضحكت عليّ وقالت سأعمل الإجهاض لتمضي في خطتها بالبقاء على الجنين ثم اختفت
ـ هل هذا الاحتمال ممكن ؟
ـ كانت مصرة على بقاء الحمل وظننت اني أجبرتها على الإجهاض
ـ أين ستختفي ؟
ـ لا اعلم يا سيدي .. ربما زعمت أنها ستأخذ فرجينيا معها لتدخل الطمأنينة على قلبي على أنها ستعمل العملية لأن فرجينيا ساعدتنا بالوصول للمستشفى بدلا من السفر لروما
ـ أهلها لا يظنون أنها اختفت ، فلا احد من أقاربهم اعترف بذلك ولا يرجحون هذا الاحتمال
ـ لعلهم متواطئون يا سيدي !
ـ بل أهلها يظنون انك فعلت بها شيئا خطيرا
ـ شيء خطير ! .. ما هو الشيء الخطير ؟ وقد خرجت من البيت قبل الظهر والخادمة تشهد على ذلك كما قالت لكم وكما اخبر صاحب البقالة القريبة بأنها ابتاعت منه علبة سجائر وكانت وحدها
ـ أختها المحامية تثير لغطا وتشك بأنك قتلتها
ـ وأين جثتها ؟ وأين سيارتها ؟.. ولماذا اقتلها ؟ وقد قبلت بالإجهاض وهو الذي يهمني
وحققت الشرطة معه عن اختفائها ، ومنع من مغادرة البلد قبل معرفة مصير زوجته الغامض

***

قال اصف : ما القصة يا ابن العم ؟
ـ الإجهاض الذي تعرف قصته حجزت لها أنا والطبيب في المستشفى الأجنبي الكائن في بلدة فلفلة المسموح له قانونيا بإجراء عمليات الإجهاض لبنات الأجانب وذهبت واختفت
ـ تقصد تختفي للمحافظة على الطفل
ـ لعل هذا السبب ، هي تملك المال ، لعلها استأجرت شقة في مدينة أخرى .. والأيام ستكشف ذلك الاحتمال .. المستشفى قال لم تصل

ـ وماذا ستفعل اذا ولدت ؟

ـ سأعيش في نكد وجنون ، وسوف اطلقها وانتهي منها.. انتهى العيش بيننا

ـ واذا قتلت كما تقول رندة ..ولا ادري من أين جاءت بتلك الفكرة أو الإيحاء ؟!

ـ على الشرطة معرفة الجاني ماذا عليّ أن افعل يا أبا سمور ؟

بعد صمت وارتفاع المزيد من سحب السجائر قال اصف : علينا الانتظار وقد بلغ عن سيارتها ولم تجدها الشرطة ولم يحدث حوادث على طريق تلك البلدة ذلك اليوم الذي خرجت فيه .. أتراها انتحرت ؟

ـ ولماذا تنتحر ؟ وأين الجثة ؟ أو رسالة الموت كما يفعل الكثير من المنتحرين .

***

اجتمعت أسرة سندرة كلف وباركر في شقة أم فارس وتناقشوا بقصة الاختفاء فقال زياد : هل يمكن أن يكون الاختفاء من اجل بقاء الحمل والطفل كما نسمع ؟.. كم شهر لها في الحمل يا رندة؟

تنهدت وقالت بحزن : لم يتجاوز الحمل الأربعة اشهر لماذا تسأل ؟

قال مفسرا سبب السؤال : قلت لعلها اختفت ؛ لتضع مولودها وتحتفظ به ما كانت هذه رغبتها ثم تظهر ويحصل الطلاق ؛ ولكن المدة الباقية طويلة

قالت باركر : قال ضابط التحقيق رصيدها في البنك لم يتحرك منذ اختفت

قالت راما : لعلها استدانت من صويحباتها يا باركر حتى لا يتتبعها احد

باركر : احتمال جيد! والشرطة أوقفت التحقيق حتى تظهر الجثة اذا كانت هناك جريمة كما تعتقد رندة .

قال فارس : حتى السيارة ما زالت مختفية ؛ ولكن البقال المجاور لبيت ماتيو اللعين قال للشرطة إنها تناولت منه علبة سجائر وزجاجة ماء .. وأنت يا رندة لماذا تتحدثين عن القتل الديك معلومات عن هذا الاحتمال الغريب ؟ وتحركات ماتيو يوم الخروج لا تدل على ذلك كما حققت

الشرطة .. صحيح انه لم يذهب للشركة ذلك النهار الذي مشت هي للعملية ولم يصحبها كعادة الأزواج ..وزعم انه ذهب وحده للسينما .

قالت رندة : أفعاله الباردة نحو الحدث وبرودة أعصابه أشعرتني أنه يعرف اكثر مما قال لنا وللشرطة .. وكأننا نبحث عن امرأة لا تمت له بصلة .. ولو اختفت اختفاء خاص لأخبرتني ولو بإشارة فنحن اكثر من اخوه ..كنا صديقتين وكنت مستشارة لها قبل الزواج وبعده .. وهي كانت مستسلمة لآخر حد لإسقاط الجنين وراضية بالإجهاض للبقاء على الحياة الزوجية

قال باركر : هذا لا أرى انه يكفي ليقتل هو أو غيره

قالت رندة : لم يكن يخطر في بالها أنها ستقتل رغم أنها لاحظت أفعال مريبة لماتيو منذ علم بالحمل

قال زياد بدهشة : أفعال مريبة مثل !

ـ لم يعد يحب لها السهر مع أصحابه الطليان .. لم يعد يحب ذهابها للمكتب .. لم يعد يعاشرها في البيت نهائيا .. ولا يحب الجلوس معها أو حتى يأكل معها .. صار اغلب وقته خارج البيت ويأكل في المطاعم وحده أو مع أصدقاء يعود للنوم فقط ورغم محاولاتها المتكررة التقرب منه وإعادة الانسجام للبيت .. ويقول دعي التودد حتى يتم الإجهاض

قالت راما : غضب وضيق وصدمة من الحمل

ـ وقل تواجده في الفيلا حتى الفجر

***

التقى اصف بماتيو في مكتب شركة ماتيو ولما شرب الشاي قال : نلتقي في مقهى شوال لنتحدث حول اختفاء سندرة .. بصراحة كاشفتني المحامية بأنها تعتقد أن أختها قتلت وانك تخفي أشياء فقلت لها أين الجثة أين جسدها ؟

ـ حسنا نلتقي مساء يا صديقي

ـ للأسف كل ما يحدث شيء أنت يا واصف عرفتنا عليه وهو ابن عمك ما ادري ما هذه الحجة

ضحك وقال : لا تزعل يا ابن عمي هم يفكرونك أو يحسبونك ولي امري

ـ هذا احسن تعبير إلى اللقاء

ذهب ليلا إلى مقهى شوال في شارع وطن ولما جلسا وطلبا الشاي وأخذا بالتدخين قال اصف : بالك لماذا دخل الشك في قلب رندة ؟ هل رأت تصرفا منك يوحي بذلك ؟

ـ السبب أنها حضرت بعد ثلاث أيام من خروج سندرة لعمل العملية وأنا لم اتصل لأنها لن تعمل العملية عندما تصل ؛لأنها ستقوم بفحوصات وتحاليل، ثم في اليوم التالي تخضع للعملية فلم اتصل لهذا السبب ، وأيضا هي لم تتصل فاعتقدت أنها زعلانة وغاضبة لإجبارها على الإجهاض وفي اليوم الثالث ضربت رقمها فلم تجب فزاد غضبي وحضرت السيدة المحامية قرب المغرب أول الليل وتشاجرنا وتكلمنا بحدة ثم اشتكينا للبوليس فهي توهمت انني اخفي معلومات عنها وعن الشرطة .. وهي لم تقتنع أن أختها ربما اختفت بإرادتها وترفض الإجهاض

ـ تقول إن السيارة اختفت

ـ هذا يدل على أنها هي اختفت بنفسها

ـ وقصة فرجينيا التي قلت لهم إنها ذهبت معها

ـ هكذا كان الترتيب لأن قريبها يعمل في المشفى الأجنبي وبمساعدتها عرفناه وزرنا المستشفى حتى يقبلوا عمل العملية ؛ لأننا كنا نفكر بعملها في إيطاليا بعيادات الإجهاض

ـ امر محير ألا تعرف شيئا خاصا فالغموض يحيط بالقضية

ـ الغموض سيتضح مع الوقت أنا منذ اعترفت لي بفجورها زهدت فيها

ـ ما هو أنت تساهلت معها ومع زملائك الملاعين فظننت أنك غير مبال

ـ أنا لما كشف لي هؤلاء الأمر لزمت الصمت منتظرا أن تكشف فسقها

ـ لكنك مثلها يا ماتيو

ـ لو خانتني مع غيرهم قد لا اكتشف زناها ، فهي تضع لولبا يمنع الحمل ، فقد لا اعرف سرها قبل مضي مدة طويلة .. أنا أغار يا صديق ولو أنني ولدت في روما .. لم تخن أمي زوجها وهو

حي ولم اسمع .. وانا شرحت لها انني ابن أوروبا وكل عاداتي أوروبية ليس لتمارس البغاء أما هي فتاة شرقية وبنت مجتمع شرقي

ـ ما آخر أخبار الشرطة ؟

ـ ينتظرون ظهورها حية أو عندما تلد في مستشفى أو تظهر جثتها أو حتى سيارتها الخاصة

ـ فعلا قصة السيارة مثيرة للدهشة

ـ وانا من اجل ذلك أظن أنها اختفت لتلد ثم تظهر واضطر أن اقر بأنه ابن لي

ـ هؤلاء يأملون أن آتيهم بخبر يسكن قلوبهم

ـ فأنا مثلهم انتظر خبرا يسكن مخاوفي ، فهي كما هي أختهم فأنا زوجها وأبو ابنتها

***

دعي ماتيو واصف وشقيق اصف باتصال من فرجينيا لحضور حفل موسيقي إيطالي مساء يوم في المركز الثقافي في قاعة الموسيقى فلبوا الدعوة بعد حفلة عشاء في مطعم إيطالي مشهور في الحي الأجنبي ودار بينهم حديث عن اختفاء سندرة الغامض وقد اصبح اختفاؤها حديث مجلسهم بشكل دائم فقال اصف : قصة محيرة أيها الرفاق ! لو انتحرت كما أشيع مؤخرا في بعض الصحف .. أين الجثة ؟ أين سيارتها ؟

قالت كاميليا بحزن : كانت محبوبة لي ولفرانك عندما درست لغتنا زاد تعلقنا بها وأمست رفيقة لنا في المركز وأعجبنا بنشاطها وحماسها معنا .. فلقد كنا بعد الدرس نجلس في مكتب فرانك أو جون ؛ فكانت مثقفة جدا ،واحبها موظفو معهد اللغة وحتى موظفات المسرح وصالة الحفلات الموسيقية ، وكانت تحب الجلوس والمجادلة مع مشرفة معهد اللغة هيلين وزوجها مارسيل لما أحسنت لغتنا اهتم بها المعهد كثيرا ؛ بل اصبحا يعتمدان على نشاطها لشراء الكتب المحلية المناسبة للمعهد والمكتبة ، ولما رأوا حبها للسفر للمعارض في أوروبا لشراء الكتب يصحبانها معهما حتى كنت استغرب صمتك ماتيو عن ذلك وسألت هيلين عن ذلك فردت عليّ ماتيو رجل عصري ومرن فلا يجب أن يعرقل أمرها ما دامت هي راغبة بمرافقتنا .. فهل

يعقل ماتي أنها هربت لتضع مولودها رغما عنك
قال جون : هذا احتمال كبير كاميليا لتضع ماتيو تحت الأمر الواقع ما دامت ترغب بالمحافظة على الجنين لقد سايرت ضغط ماتيو وكانت ترتب امر الاختفاء حتى اللحظة المناسبة كانت ترفض الإجهاض بشدة وتحدثت أمامنا أنا وكاميليا عن رغبتها بالطلاق اذا اصر على العملية
قال فرانك : أين ستختفي وتختبئ ؟ يعني أنها استأجرت بيتا سرا
قال ماتيو بغيظ : اذا صح هذا الاحتمال سيأتي موعد الوضع خلال شهور قادمة بالأكثر ثلاث اشهر
فقالت فرجينيا مشفقة : وماذا ستفعل ؟ هل ستقبل بالمولود؟
قال اصف : سيسجل الطفل باسمه اذا ولدت رغما عنه قبل أو لم يقبل ولو كان الطلاق سيرفع اسمه عن الطفل لفعله .. وقضية اختفاء السيارة محيرة لعله يرجح هذا الاحتمال رغم ضعفه
قال الشقيق : سيحصل الطلاق أليس كذلك ماتيو ؟
تنهد وقال : الطلاق حاصل وان اعترفت به قانونيا ؛ فلن اعترف به عمليا ..فهي خدعتني بالحمل الأول قبلت معاشرتي جنسيا قبل أن نعقد عقدا صحيحا وأنا اعتبرت العلاقة تحصيل حاصل يومذاك ..لأنني اقتنعت بالزواج منها ولمست منها مشاعر جميلة وصادقة ، ولمت نفسي كثيرا ؛ لأنني لمستها قبل عقد الزواج فاستسلمت للأمر مع أنني طلبت منها الإجهاض ثم سكتت ، والمرة الثانية للأسف رفعت وأزالت المانع دون علمي بسبب المرض الذي أخفته عني ونتج عن سبب علاقاتها غير الشرعية حتى باعت نفسها لكل ذكر منكم صراحة أرجوكم لا احد ينكر فبعضكم اعترف لي وبعضكم يستحي من الاعتراف .. كانت مسرورة بالزنا وصدمت من فعل ذلك فلماذا تزوجتني ؟ لو كشفت لي الأمر بالمرض لأخذت احتياطي ؛ ولكنها أرادت الحمل بحجة العلاج ؛ولكن من من حملت ؟لا اعلم ولا انتم تعلمون
ضحك فرانك وجون وتبسمت كاميليا فقال فرانك : ليس مني ماتي وانا مرة أو مرتين نمت معها كنا في حفلة في شقتي كما تذكر كاميليا وشربنا حتى ثملنا وأصرت على النوم في الشقة

رغم أن جون عرض توصليها فقالت : ماتيو مسافر ولا احد في الفيلا سوى الخادمة يمكننا السهر للفجر .. فبعد مغادرة الجميع حتى فرجينيا وكاميليا سلمت بدنها لي بدون مقاومة كانت راغبة في علاقة فضعفت وخجلت من خيانتك ؛ لكنها الشهوة لما تستعر وأنا استخدم الواقي وهي كانت تلك الأيام تستخدم المانع ، فلا يمكن أن تحمل مني فقد نمت مع كاميليا عشرات المرات ولم يحصل حمل

فقال جون ضاحكا : وليس مني يا ماتيو

فقال اصف مقهورا ومغلولا مما يسمع : لم اكن أظن أنها جوعى للجنس وعاهرة بهذه القوة والشراهة .. والسبب تساهلك ماتيو .. كان عليك أن تحذرها من ذلك الخطأ الفظيع

فقال فرجينيا مدافعة عنها : كان ماتيو مقصرا معها يا اصف فهو كثير السفر والترحال ويمل النساء بسرعة فقد خبرته ولعل كاميليا مثلي

قالت كاميليا : ويعشق بنات الهوى اكثر من اللازم أنا لم أعاشر ماتيو البتة يا فرجينيا اكتفيت بفرانك صديق واحد افضل نفسيا وصحيا ، وهو لا يرغب بالزواج فرضينا بالمساكنة دون عقد شرعي أو قانوني وأهلي يعرفون ذلك .. أما هو فهو مسرف في علاقاته

قال ماتيو مبررا ضعفه نحو العلاقات الجنسية الشرعية : تعودت على ذلك في كل البلاد التي زرتها كنت لا احب الارتباط بعدد ؛ ولكن لما استقر بي المقام هنا تحرجت من أقارب أبي وعماتي وتحرج نساءهم من الجلوس معي بسبب العزوبية وزيارتهم بدون زوجة وسماع همسات لماذا لا يتزوج ماتيو ؟ فكان لابد من الزواج أيها الاحبة وفرحت لاختيار صحفية كما يذكر اصف حتى اخذ حريتي مع البنات والغانيات والسفر فتعرفون الصحفي أو الإذاعي سيكون وقته للوظيفة ومطاردة الأخبار والتحقيقات فوقته العائلي سيكون ضيقا وفاجأتاني أنها استقالت بعد عودتنا من الولادة وعملت معنا في الشركة وسافرت معي في شراء الصفقات ثم تشجعت لعمل جريدة أو مجلة ودفعت لها بدون عد لتعود إلى مهنتها وكلكم تابعتم ذلك لكن معهدكم افسدها عليّ صراحة وبلا مواربة

قالت كاميليا وهي تنهض : ستظهر ونعرف الحقيقة ..هيا للحفل اقتربت السهرة سوف تظهر ونحتفل بابن ماتيو

فقال شقيق اصف بحدة : لعله يكون ابن فرانك او جون

رد فرانك سريعا : لا اعتقد أيها الشقي !

***

لم ينقطع ماتيو عن السهر والملاهي وحفلات المجون ،ولم يتأثر باختفاء سندرة الغامض وبدا ذلك واضحا لمن يعرفه حق المعرفة ، وكان اصف والعائلة يرون ذلك غريبا ، لم يروه يسعى للبحث عنها وحتى لم يكتب في الصحف إعلانا واحدا للبحث عنها ، وترك الأمر والفعل لأهلها ، فكانت عائلة كلف تسهر ليلة في بيت الأم حيث اجتمع الأخوة والأخوات وبعض الأخوال فقال الخال خميس سلالة بعد أن تركوا غرفة الطعام والأكل وكانت المناسبة ذكرى وفاة الوالد : ألا من خبر عن البنت ؟(يقصد سندرة)

فقال أخته أم فارس : لم تخبرنا الشرطة بشيء من شهور وكما تقول رندة القضية لم تغلق ولكنهم يجدوا شيئا في البداية يدل على مكان الاختفاء ؛ كلما يجدون جثة غامضة مجهولة الهوية يطلبون من فارس أو رندة زيارة المشرحة دون فائدة

فتنهد خميس : اختفاء محير ومزعج ، ولو أنها مقتولة كما أشيع وترى رندة أين جسمها ؟ ولو أنها حية لما لم تتصل بأحدكم بدون ذكر مكان الاختفاء لنطمئن

فنفى الجميع حدوث ذلك الاتصال ثم قال فارس : وهذا ما يؤيد وجهة نظر رندة بموتها كانت علاقتها برندة اكثر منا بالأمور الخاصة

قالت رندة : شكت لي قصة مرضها واضطرارها للحمل كدواء والحقيقة أنها كانت راغبة بالحمل أيضا ليس للعلاج فقط وأعلمتني بالمشكلة التي تعاني منها مع ماتيو ورفضه للحمل وإصراره على الإجهاض وقالت أنا اكبر وهو غير راغب بالحمل واكتفى بريتا وأنا أريد على الأقل طفلا آخر .. كنا اكثر من اختين وكشفت لي قصة ضعفها ووقوعها بمصيدة الإباحية

وقوة علاقاتها بالمركز الثقافي ونشاطها القوي معهم حتى أنهم كلفوها برحلات شراء كتب من معارض روما وباريس لثقتهم وقوة اعتمادهم عليها ولفراغها خاصة بعد إغلاق مجلتها الفتية ودوامها في مكتب شركة ماتيو لتضييع الوقت حتى يحل الظلام لتنطلق للسكر والحفلات لقد ساءت حالها بزواجها من ماتيو ولم تعد تسمع نصحي وغلب على ظنها أن ماتيو غير مهتم بأفعالها القبيحة بزعم نصفه الأجنبي

قال فارس : حتى بدأت تهتم بزيارة نوادي الماركسيين والاشتراكيين مع صديقتيها جيتا وسالا

قالت رندة باستغراب كفارس : فعلا حتى أنني مرة قلت لها أترغبين بدخول حزبهم فقالت: العسكرية تمنع دخول الأحزاب كما تعلمين بصفتك محامية وصديقاتي الاشتراكيات يسعين لتجنيدي للعمل إعلامية ماركسية وحاولن من قبل من أيام الجامعة فقالت لهن: لست ملحدة مثلكن ، وحتى أنها رافقتهن إلى فرنسا لحضور اجتماع اشتراكي كبير عقد هناك أمام دهشتي وآخر في روسيا وحتى اتصلت بجيتا وعلمت من أمها أنها سافرت للعمل في إيطاليا وتركت البنك وسالا لا تعرف عنها شيئا كذلك

قالت الأخت راما : لماذا لا يحب الإنجاب الشاب العجوز وهي تخالف ذلك؟

قالت رندة : القضية أن سندرة تكبر سنا وترغب بالأطفال قبل الكبر ، ولا تنسوا حرمانها من الحياة مع ابنتها فكانت تحب السفر من أجلها تقضي معها بعض الوقت ، حرمها من عيش ابنتها معها كما تعلمون وقالت إنها وافقت على ذلك لما حملت كما تعرفون قبل الزواج الرسمي وكانت للحق مفتونه به وتعلقت به وهذا التعلق خفت بعد الزواج والولادة فسمحت لنفسها بأمور سيئة مع رفاقه فهو يشك بأن الحمل ليس منه كما تناقشت معه أنا وفارس وحتى معها

صاح خميس : ولماذا سقطت هذا السقوط المريع ؟

قال فارس : بعد ولادة ريتا قل اتصاله به جنسيا وكثرة سفره يا خالي

ـ وهل كان يعرف ؟

قالت رندة : اعترفت له هي وأصحابه اعترفوا له قبلها ،وسكت لم يظهر أي غيرة ويمكننا أن

نقول هذا كما تعرفون بعض عادت الغرب حرية العلاقات الجنسية وهو ابن مجتمعه رغم اصله العربي والخيانات الزوجية تشيع في كل المجتمعات العربية وغير العربية ولكنها تتفاوت النسبة بين قطر وقطر وبلادنا العربية فيها من ذلك؛ ولكنها تخفى إلى حد كبير لأنه يترتب عليها قضايا وقتل وشرف وكرامة .. فاضطر كما بدا لي أنه صمت لهذه الثقافة التي تشربها من بلاده باسم الحرية الجنسية وللأسف هي لم تكترث لمعرفته وغيرته الصامتة

فقال فارس : لذلك ترى الأجانب يتجنبون الزواج القانوي حتى سن متأخرة

فقال زياد بتهكم : لديهم زواج الأصدقاء المساكنة تتشارك الأنثى والذكر في شقة ويعيشا معا كزوجين وقد تكون الشقة للبنت وحدها وتجلب زميلا للعيش معه أو العكس ويتقاسمان المصروف ولما يملّ احدهما من صاحبه تطرده أو يطردها ، وتجلب غيره أو غيرها .. وقد تلد المرأة عدة ولادات ثم يحصل الاقتران الرسمي والكنسي.. صور كثيرة .. تجد الفتاة تعمل مومسا لتصرف على دراستها أو حبيبها .. فهذه طباع تجدها في كل أوروبا واليوم الشرق يتأثر بهم ولو على استحياء ، لاحظت أنا تلهف سندرة على الزواج من ماتيو رغم عيوبه الظاهرة للعيان وفسرته لنفسي يومذاك بكبر سنها ؛ ليس لأنه ابن أوروبا ، كانت كأنها لم تجد رجلا غيره ورفضت الكثير من أبناء العائلة

فقال خميس : رغب ابني سالم بها ؛ ولكنها زعمت انه غير متعلم ولم يأخذ الثانوية ؛كأن الزواج اليوم بالشهادات مع أننا نرى متعلمات يتزوجن جهلة .. وحتى تجد مهندسة تتزوج موظف بسيط أو جندي ثاني

قالت الأم : الزواج عندنا قدر وقسمة ونصيب

فقالت راما : قضية اختفاء سندرة عقدت حياتنا وحتى اللعين ماتيو يعيش حياته ؛ كأنه لم يفقد امرأته وغير مكترث سواء كانت حية أم ميتة

قالت رندة : قلت لك حياتها بردت بعد ولادة الست ريتا مجرد شركاء بيت وعلاقات جنسية متباعدة

ـ ولماذا لم يتطلقا بعد جمود حياتهما الخاصة ؟

قالت : هو يريد زوجة شكلا أمام أقاربه كما صارحني اصف لما رأى فتور العلاقة بينهما واكد لي أنه يحبها ولا يريد أن يفرط بها رغم سقوطها الأخلاقي ، ولم استطع فعل شيء بعد معرفتي من لسانها شخصيا ذلك السقوط ، والحق أنني قلت لفارس أن حياة أختنا معه مسالة وقت فسيضعف صمته نحوها وهي لم تكن للأسف تبالي بالنصح

قالت أمها : المهم الآن أن نعرف مصيرها وعليك بالاستمرار ومتابعة مكتب الشرطة

ـ لي أصدقاء يتواصلون معي أو مع زوجي لو جد جديد لعلمنا به

***

وكانت حياته العملية تسير ؛ كأن لم يحدث شيء ؛ وكأن لم يفقد زوجته ، وكان يتكئ على أنها اختفت من نفسها لتضع طفلها ، ووضعت رندة وفارس إعلانات في جميع صحف البلاد عن المرأة المختفية وعن سيارتها المفقودة ، وظل الغموض مستمرا إلى اكثر من أربعة شهور حينما عثر على جثتها في غابة سندس غابة قرب مستشفى الإجهاض أو في الطريق اليه ، ووجدوا معها جثة أخرى لفتاة عرفت بأنها صديقة لها قبل الزواج اسمها جيتا داموس فتاة تصادقتا من أيام الدراسة ، وكلتا المرأتين تعرضتا للقتل بالرصاص مما حير رجال الأمن ، وتبين أن الصديقة المرافقة لها في رحلة الإجهاض لم يعرف أهلها باختفائها وأنها رافقت سندرة بتلك الرحلة ؛ لأنها زعمت يوم خروجها لأمها صباح يوم الاثنين من شهر نوفمبر بالسفر للعمل في إيطاليا بمساعدة من صديقتها سندرة التي أخبرتهم بأنها تساعدها للعمل في أوروبا ، وظنوا كل هذا الوقت أنها خارج المدينة في روما ، ولم يتلقوا منها أي رسالة أو تلفون ولم يثير ذلك دهشتهم ، فوجود الجثة الثانية أربك البوليس باتهام ماتيو ، واعترف بأنه يعرفها وسهرت معهم مرات كثيرة ، ولم يعرف أنها ذهبت معها في تلك الرحلة الاجهاضية كان يعتقد أن الآنسة فرجينيا هي التي سترافقها لكلام سابق بينهم واخبر البوليس بذلك وأن فرجينيا أنكرت اللقاء بها ، وحدث الاكتشاف عن طريق شابين يعشقان الصيد بالخراطيش بنادق الصيد ومعهما كلب صيد هو الذي استدل على الضحيتين أو مكان إخفاء الجثتين ، دخلت سيارتهما قلب الغابة كما اعتادا وبعد مسير بضعة كيلو مترات في طريق ترابي تكوّن من مسير السيارات عليه وعند عين ماء أوقفوا السيارة واطلقوا الكلب يبحث عن صيد ثم ، رأوه يتحرك جهة دغل لا يبعد كثيرا عن العين فظنوا أنه شم رائحة أرنب أو ثعلب واخترق الدغل واشتد نباحه بشدة فلما وصلوا ودخلوا الدغل بإزالة الأغصان رأوا تلك الجثث المشوهة من الحيوانات فاتصل احدهم بشرطة الأمن وبعد ساعة امتلأت المنطقة بسيارات الشرطة والإسعاف ثم سيارات المختبر الجنائي والطب الشرعي وتم التعرف على سندرة ثم اكتشفت سيارة سندرة بين مجموعة من الأشجار

مخبئة بين مجموعة من الأشجار ؛ وليس عليها لوحة أرقام ، وبلغ ماتيو باكتشاف جثة زوجته وكذلك المحامية رندة وزوجها المحامي باركر ، ولما حضروا المكان وسئلا عن الجثة الثانية قالت رندة : لعلي رأيتها في سهرات خاصة بسندرة إنها جيتا داموس وقال ماتيو : هي صديقة لها قديمة عرفتني عليها ؛ وكما قالت السيدة رندة شاركتنا حفلات عيد ميلاد ومناسبات أخرى وذكر لهم اسمها جيتا وتعمل موظفة بنك ولها نشاط حزبي سياسي ، وسعت الشرطة بعد اكتشاف الجثث لمعرفة الأيام الأخيرة والساعات الأخيرة من حياتها ، تبين لهم أن الزوجة خرجت من البيت الساعة العاشرة وحدها على نية الذهاب للقاء فرجينيا كما قال ماتيو لترافقها للمستشفى لأن ابن عم أو قريب لها يعمل في قسم التوليد وإدارة المستشفى ، فقد شهد صاحب متجر بقالة قريب من شقتهم أو فيلتهم أنها قبل اختفائها اشترت منه علبة سجائر وقداحة وقارورة ماء ، وهي معتادة على الشراء منه ثم عاودت ركوب سيارتها ولم يكن معها احد ، وقد اعتادت الشراء من عنده السجائر وغيرها من الأشياء كالعلكة وأصابع الشوكولاتة ، وشهد آخرون أنهم شاهدوا الفتاة الثانية معها في مطعم في شارع معروف في المدينة وتناولتا الطعام قبل المغادرة ، وحملت كل واحدة منهما كوبا ضخما من القهوة ، وبين صاحب المطعم انه على معرفة جيدة بجيتا داموس وترددت عليه بين حين وآخر وكانت جيتا قد تركت سيارتها في موقف خاص مقابل المطعم ، وصعدت سيارة الزوجة أمامه كما شهد وكانت وجهتهما الشمال كما سمعها تقول له وهي تغادر ، وأكد الوجهة أيضا حارس أو موظف موقف السيارات بالأجرة حيث كانت تركن جيتا سيارتها ؛لأنها قالت له بعد أن أغلقت السيارة حيث أشار لها أن تصف السيارة : قد أتأخر إلى الليل .فذكر لها أن عمله اربع وعشرين ساعة وأشار لكوخ خاص به في طرف الموقف يجلس فيه ويستريح وينام أحيانا ، وظل طوال الأيام مستغربا عدم عودتها لأخذ السيارة ولم يقع في خاطره موتها ولا يعرف تلفون أهلها أو أقاربها ، ولم يشهد احد بلقائه بهما أثناء وجودهما في الغابة أو قرب الغابة رغم أن بعض الشباب يذهبون أحيانا للصيد لصيد الطيور والأرانب وربما الثعالب التي قد تظهر أحيانا ولم يجدوا شاهدا يشهد

برؤية ماتيو ذلك اليوم سوى أن صاحب البقالة القريبة من منزله شاهد سيارته عند الظهر تخرج من البيت ولم يشهد احد في معرضه حضوره ذلك اليوم للعمل لأنه زعم لهم بأنه متعب من سهرة ليلة امس وأنه حضر فيلما سينمائيا في وسط المدينة ، ثم عاد للشقة عصرا وفي الليل استقبل شريكه اصف وسهرا كالمعتادة مع مناقشة أعمالهما المشتركة .

***

تسلم القضية ـ قضية الجريمة المزدوجة في غابة سندس القريبة من بلدة فلفلة بعشرين كيلو متر ـ فريق التحقيقات الجنائية في شرطة جبل السوار وكان على رأس الفريق النقيب سري عبد السلام ومساعد أول ملازم أول مناف جاكر ومساعد ثاني ملازم أول وزيد نعسان ومدعي عام خاصر برقام وجلسوا في مكتب المدعي العام يتناقشون ويستعرضون القضية ، وقام النقيب سري المسؤول الأول عن تحقيقات الشرطة بعرض ملابسات الجريمة المزدوجة ، فقال : الزوجة المدعوة سندرة كلف الإعلامية السابقة قبل الزواج العاملة في إذاعة العسكرية المحلية ، حملت بدون رغبة من ماتيو باهر التاجر في تجارة السيارة الصغيرة العائلية والرياضية فاجبرها على الإجهاض ، السبب الأول عدم رغبته بالخلفة بعد البنت التي انجبها والسبب الثاني فمن وجهة نظره شكه بأبوة الجنين ، وإنها اعترفت له باقتراف الزنا مع اكثر من رجل قبل حدوث الحمل ولم يسمع منها أنها تركت تلك الجريمة إلا بعد حدوث الحمل ، وكانت تصر أن الجنين منه واعترفت بزناها لشقيقتها المحامية رندة كلف التي أقرت بذلك ، وتحدثت الفتاة مع أختها عن ظروف الحمل ، وتحدث طبيبها خوص للشرطة على سبب إزالة مانع الحمل على امل الشفاء للرحم خلال دورة شهرية واحدة أو اثنتين ولم يحصل الشفاء المنشود ، وقبل إعادة المانع اللولبي حصل الحمل واعتبره الدكتور المذكور سابقا بأنه قد يكون مساعدا على شفاء مرض الرحم من حساسية اللولب مما اضطرها لكشف الأمر وهو حصول الحمل لماتيو الذي جن للخبر واصر على الإجهاض ، ورتب لها ماتيو بعد مجادلات واستعطافات موعدا في مستشفى خاص بالحمل والولادة وعمليات الإجهاض في منطقة تسمى فلفلة تبعد عن سوار مائة كم

تزيد قليلا ، وعادة يلجأ إلى هذا المكان نساء الأجانب لمثل هذه العمليات الخاصة ؛ لأنها تعمل بكادر اجنبي ومسموح له بعمل عمليات الإجهاض للفتيات والنساء الأجنبيات فلغى السفر للخارج وعمل العملية في روما ، والذي ارشدهم إليه للمستشفى موظفة تعمل في السفارة الإيطالية لها علاقة بماتيو وسندرة حيث انه مواطن عاش في روما قبل الانتقال للسوار .. وللفتاة المدعوة فرجينيا قريب موظف قي المستشفى الأجنبي في فلفة والدكتور خوص أشاد بالمستشفى لسندرة ولأختها المحامية رندة ، ولما خرجت لتلك العملية قبل ظهر يوم الاثنين من نوفمبر العام الماضي ظن ماتيو بأن فرجينيا موظفة السفارة سترافقها بسبب إرشادهم للمستشفى بدل السفر ، ولأن لها قريبا يعمل في فيهكما سبق وذكرنا ، وأثناء الرحلة برفقة صاحبتها جيتا داموس بلول الموظفة في البنك ـ بنك السوار ـ التي أخبرت أمها بأنها ستسافر لإيطالية للعمل والاطلاع على تلك البلاد قبل الاستقالة من البنك ، وهذا انتشر بين الأسرة والأقارب وطليقها حيث هي زوجة مطلقة من ابن عم لها ، وهذا الخبر كان معروفا في العائلة قبل الاختفاء بسبب كثرة إزعاجها لهم خاصة شقة الأب والجيران ؛ حيث كانت تقيم حفلات صاخبة في شقتها فصدقوا بأن الغياب كان بسبب الرحيل ولم يتحروا عن الغياب ، وتركت جيتا داموس سيارتها الخاصة في كراج بالأجرة على أن تعود ليلا لأخذ السيارة ، توقفتا عند مدخل الغابة لماذا ؟ لا احد يعرف الجواب ولم يشهد احد على رؤية السيارة تقف على مدخل الغابة والاختفاء كما تخبرون من أربعة اشهر ، ومشيتا حوالي كيلو متر ونصف ، ثم قتلتا بالرصاص وأخفيت السيارة تحت أشجار بمهارة كالجثتين مما أخر معرفة مصير الفتاتين حتى اكتشف كلب الصيد الجثث هل كان التوقف اختيارا أم إجبارا؟ لم نعرف الجواب لحتى الساعة وتابع فقال سري : هناك أمر واضح أن احدهم أو اكثر أوقف السيارة بالقوة لعدم وجود استراحة أو اثر لحياة أو سيارة شرطة مزيفة .. لماذا تنزل امرأة للغابة وهي تمشي لغرفة العمليات ؟ واقتاد الجاني أو الجناة الفتيات لقرب العين ، ثم اطلق عليهن النار في الدغل أو سحبهن إلى مكان قريب من مكان القتل لإخفاء الجثث حتى يتأخر اكتشاف الجريمة كما تبين للبحث الجنائي

والطب الشرعي ، والراجح أن القتل تم في يوم نفس الاختفاء ، والمستشفى الخاص لم يستقبل الفتاة ولم يجر أي عملية لها كما تحققنا سابقا ولاحقا وتلك الأشجار القصيرة أو الدغل اخفت الجثث ؛ وربما لولا الكلب لما ظهرت الجثث لليوم ؛ وربما عرفت الجريمة ولم يبلغ عنها ممن اكتشفها سابقا ، وفي التحقيق القديم تأخر البحث عنها من قبل الزوج منذ غادرت البيت ولم يحدث أي اتصال حتى تدخلت المحامية رندة التي رجعت من مصر بعد رحلة عمل وسياحة وكانت على تواصل مع أختها منذ سافرت وانقطعت المخابرات قبل عودتها بيومين أو ثلاث وأخذت بالبحث عن أختها مع فتور من قبل الزوج مما أثار الريبة في قلبها وأعلنت للعائلة بموت سندرة دون دليل ودون وجود جثة جريمة وبدون جثة يصعب التحقيق فيها كما تعلمون فقال المدعي العام خاصر برقام الموكل بمتابعة التحقيق الجنائي : أحسنت أيها النقيب بهذا الشرح والتفصيل ! خطة مدبرة بذكاء وقصد بين واضح ؛ لكن وجود جيتا بلول عقد سبب الحادث وسكوت أهلها عن اختفائها يثير الريبة وحتى موظف الكراج الذي لم يحاول الاتصال باهلها والبحث عنهم كل هذه المدة الزمنية

النقيب سري : أكيد كل الافتراضات تتجه إلى ذلك أنها هي المقصودة بالجريمة ، الدافع غير بين ، والزوج قال للشرطة والأسرة قبل الشرطة بقصة ذهابها لعمل عملية إجهاض سرية وزعم أنه طلب من فرجينيا مرافقتها ، وأختها المحامية تعلم بالاستعداد للإجهاض ، ولولا ذهابها للقاهرة في نشاط قانوني لربما رافقتها

فقال المدعي مضيفا : وتلك الفرجينيا أنكرت ذهابها معها ، وثبت أنها كانت تقوم بعملها ذلك النهار في السفارة كالمعتاد ؛ وإنما الظن من ماتيو وأنها ذهبت إليها لتمشي معها بسبب وجود قريبا في ذلك المشفى ولم يحدث أن أخبرته أن جيتا سترافقها

وقال مناف جاكر المحقق المساعد : واهل تلك البنت جيتا بلول كانوا يظنون أن ابنتهم كانت مسافرة للعمل في إيطاليا بمساعدة الزوجة سندرة وزوجها ماتيو بناء على كلام سابق بينهم ولم يهتموا باختفاء سيارتها الخاصة ظنا منهم بأنها أخفتها بمخزن أو كلفت صديقة بالعناية بها أو

بيعها أو ريثما تعود بعد التعاقد .. وانكر ماتيو أن تحدث عن ذلك الوعد بالعمل في روما ، وقال : ولعل زوجته وعدتها بذلك بسبب قوة علاقتها بموظفي المعهد لتعليم اللغة الإيطالية للجاليات والعرب ، وانه على غير علم بذهابها معها ذلك النهار ؛ فلذلك لم يتم البحث عنها خلال فترة الاختفاء ، وسألنا أهلها عن تلك القصة ، وكلهم اكد موضوع السفر الطارئ وهو سبب صمتهم كل هذه الأشهر .. وأسرة الصحفية المغدورة يتهمون زوجها باغتيالها دون دليل ملموس ، وهو مشتبه به فعلا ؛ لكن لا نملك دليلا يؤكد تورطه غير الإيحاء وعدم اهتمامه بظهورها والبحث عنها ، والواقع فلا احد له فائدة من اغتيالها لحتى الآن ، والإجهاض هو هدفه فلماذا يقتلها ؟ واذا حدث الإجهاض انتهت المشكلة بالنسبة له .. وهي قبلت بالإجهاض بعد ضغطه الشديد ، ولم يكترث لخطر الإجهاض على صحتها فهو يقول كل عملية فيها خطر على حياة البشر

قال الملازم الآخر زيد نعسان : وهذا ما يحيرنا ! فإذن لماذا القتل ؟ هل هناك دافع آخر ؟ لم يظهر شيء يبين سبب اغتيالها أو اغتيال رفيقتها الشيوعية حتى أن سندرة صارت ترافقها وفتاة أخرى اسمها سالا لمقر النادي الشيوعي المحلي واحيانا مؤتمرات يعقدها الشيوعيون والاشتراكيون في أوروبا ولم يعلق ماتيو كثيرا على ذلك ولا يعلم سبب اهتمامها بهم وبشيوعيتهم فهي تركت الصحافة وتركت الاهتمام به كما فعل هو بعد معرفته بعلاقاتها الجنسية مع أصحابه الطليان .

قال النقيب سري : أجريت عدة لقاءات به وهو يقول ويردد نفس ما قاله إنه حجز لها هو والدكتور خوص لإجراء العملية دون علم أهلها أو أي احد كما كان يظن .. ولكن تبين له أن أختها على علم بكل القصة ..ولماذا رافقتها تلك الفتاة لا جواب واضح ؟

قال خاصر : حياة ماتيو لا يوجد في غموض بالنسبة لنا .. فالإجهاض ما دام رتب مع المستشفى فلماذا ترتكب جريمة مزدوجة ؟ وموقف أسرة جيتا بلول غريب جدا ومحير لم يتلقوا تلفونا برقية رسالة هل هم وراء القتل ؟ ونعود لماذا ؟

قال سري : هذا الرجل جاء من روما لمباشرة العمل مع ابن عمه وشريكه اصف فهو من أب

عربي وأم إيطالية ، وأبوه كان مسجونا في البلد قديما لحمل فكر قومي شيوعي ، ولما خرج بعفو رئاسي ترك الحزب القومي وهرب لإيطاليا وحصل على جنسيتها وتزوج امرأة من هناك ولدت ثلاث بنتين وماتيو وبعد حين عرف أن أباه عربي وتعلم العربية منه ومن معاهد تعلم العربية ودرس الصحافة وعمل بها فترة قصيرة ثم عمل في التجارة قبل أن يعود للبلد وبعدما استقر هنا بثلاث سنوات أو اربع تزوج الصحفية سندرة ، وقد حملت منه أثناء فترة الخطبة أي افسدها قبل الزواج الفعلي كما تبين في التحقيقات وكلام المحامية رندة وزوجها الدكتور باركر وتعلمت منه السكر والحشيش المهرب بواسطة فتاة السفارة فرجينيا وقالت أختها أن لها علاقات جنسية خارج الزواج معاندة لعلاقات زوجها

فقال مناف : فهل هذا دافع للقتل ؟

قال قاضي التحقيق : ممكن الغيرة ؛ ولكنه فاسد مثلها ، لابد من دافع قوي للإقدام على قتل امرأتين !

قال الملازم : شقيق الزوجة المهندس فارس لما سألناه عن زملاء ماتيو الأجانب ذكروا انهم يوفرون له بعض الحشيش بطلب من أخته وزوجها هذه علاقاتهم الخاصة وبعض الدعوات الخاصة في حفلات صغيرة وأعياد ميلاد

قال النقيب : اعترف بذلك وانهم يحصلون على كميات بسيطة للتسلية ، فهو لا يروج ولا يتاجر بها وتحققنا من ذلك .. القضية لا يبدو عليها قضية مخدرات ..فهؤلاء الأثرياء كلهم يتعاطى ولهم مصادرهم .. وشرطة المكافحة لا يوجد لهم أسماء على قوائمهم

علق المدعي فقال: القضية بدأت في البداية سهلة وأن الزوج هو القاتل ، ولم نتمكن من إثبات وجوده على مسرح الجريمة لحتى الآن أو شريكا عنه ؛ وكما أشرتم وأكدتم فالفتاة وافقت على عملية الإجهاض ، والدكتور سمح لها بها لما رأى إصرار زوجها وتواصل مع المستشفى ورأوا عملها هنا افضل من السفر ؛ لأن زوجها قد فكر بالسفر بها لأوروبا ولما دل على المستشفى الأجنبي حجز لها واعتبر المشفى ؛ كأنه في أوروبا والدولة تسمح لهم بذلك لإجهاض الفتيات

الأجنبيات العزباوات أو الزوجات العاشقات الأجنبيات فبعض دول أوروبا الإجهاض فيها قانوني كما تعلمون .

قال الملازم زيد نعسان: هل حدث بينها وبين شقيقها نزاع حول المخدرات ؟

فقال سري : لا يبدو أنه يوجد مشاكل ونزاع بينهم حول الحشيشة .. وحتى أختها المحامية تتعاطى أو تدخن الحشيش برضا زوجها ؛ ولكن تعاطيها مثل شقيقها للتسلية والكيف لم يصلوا لحد الإدمان

قال الملازم : علينا المزيد من التحقيق معهما وحولهما والتعمق في حياتهما الخاصة والفتاة الضحية الأخرى حياتها غريبة

قال خاصر : كيف ؟

ـ شهور تمضي ولم يسألوا عنها

علق المدعي العام فقال : يبدو انهم ما صدقوا وتخلصوا منها كانت مزعجة للأسرة كما تبين كانت تعمل سهرات لشلتها ويتخللها فساد وشراب وإزعاج للأسرة والجيران من الأغاني والموسيقى والمجون فهي كبيرة في عدد كبير من الشقق .

قال سري : يبدو هذا السبب مقنعا بعدم الاهتمام بغيابها ، وهي موظفة بنك في الأصل متغيبة على أنها سافرت لإيطاليا بناء أقوال الأسرة لم تخبر البنك بسفرها أو طلب إجازة

قال المدعي : ماذا فعلت مناف جاكر باتصالات كل من ماتيو وجيتا وسندرة قبل يوم الجريمة وبعد الجريمة

تنحنح مناف وقال : راجعت سجل كل منهم في الشركة المشترك فيها كل واحد وحتى سجلات المكالمات الأرضية قبل يوم الجريمة اتصالات عادية حسب الأرقام ، أما يوم الحادث كان هناك اتصال بين سندرة وجيتا حوالي الساعة العاشرة كأنها تطلب منها أن تلتقيا ثم هناك مكالمة مع صديقة أخرى لسندرة كما تحققت وقالت لي كانت تخبرها بتحركها لعملية الإجهاض فدعت لها بالسلامة لأنها كانت في العمل وهناك مكالمة لم ترد عليها سندرة .. وبعد الواحدة لا مكالمات

يبدو أنهما كانتا ميتيين والله اعلم ، وهناك مكالمات لجيتا اثنتان من البنك مكان عملهما فلعلها تبلغ عن غيابها ذلك اليوم ومكالمات قبل نهار الانطلاق كلها مواعيد للسهر فقد اتصلت بكل الأرقام وهذا ما فهمته من أصحاب تلك الأرقام ، ولم يسمع احدهم بأنها ستسافر غدا ، وإن كان موضوع السفر شائع بينهم للسياحة في إيطاليا وليس للعمل ، إشاعة العمل فقط عند أهل جيتا ، وماتيو انكر أي وعد لها بالعمل في روما وقال إنهنّ سافرن لإيطاليا اكثر من مرة لحضور دعوات ماركسية واشتراكية في مدن إيطالية ، ومكالمات ماتيو السابقة ليوم الحادث كانت مع ابن عمه اصف ماهر ، ووكيل سيارات يابانية وتحدثت معه وكان الموضوع السيارات ، ويوم الحادث قبل الظهر تكلم مع مكتب العمل شركته واعتذر لهم وانه متعب ويعاني من صداع الخمر كما قالت الموظفة التي تلقت الاتصال ولزم الهاتف الصمت حتى المساء تحدث معه شاب اسمه جون وعلمت منه أنها دعوة لحفلة شراب وحشيش واعتذر عنها وكان هناك اتصالات مع إيطالية ولما اتصلت بها اخبروني انهم أصدقاء وتجار لماتيو مجرد نقل أخبار .. لم المس فيها شيئا يلفت النظر وكذلك اتصالات اليوم التالي والثالث للاحتفاء اتصالات محلية حيث تدخلت الشرطة صباح اليوم الرابع للاختفاء

قال سري عبد السلام : وأنت ملازم زيد نعسان مع موظف الموقف .

قال : قابلته فقال هو يعرفها كزبون دائم في الموقف بأجرة .. صفت السيارة وقال مروان قد احضر غدا لأخذها أو في الليل فقال لها : نحن نعمل ٢٤ ساعة ، فسيارتك في الحفظ والصون ثم تركت الموقف نحو الشارع المقابل ولاحظت أنها قطعت الشارع إلى الجهة الأخرى وركبت سيارة صالون إيطالية زرقاء من ماركة روميو .. وفعلا هي سيارة سندرة .. وبعد دقائق أوقفت سندرة السيارة أمام مطعم ودخلن مطعما وتذكر الرجل سندرة وجيتا وكان ذلك قبل الظهر وبعد تناول الفطور والشاي خرجن

ـ ولماذا صاحب الموقف لم يبلغ عن السيارة المتوقفة؟

ـ فهو يعرف جيتا كزبونة، ولا يعرف أحدا من أهلها أو معارفها ، وهي لم تزعجه فالكراج نادرا

ممتلأ من السيارات وتفاجأ أصلا من غيابها الطويل ولم يخطر في باله أنها قتلت ليتحرى عن أهلها حتى بعض زبائن الموقف الدائمين ظنوا أنها سيارة معروضة للبيع كان محتارا في امر غيابها كل هذه المدة

***

كانت أسرة جيتا داموس بلول يتحدثون حول ما جرى بعدما تم دفن البنت حتى أن طليقها قريبهم منصور فتحي كان يجلس معهم . فقال الأب داموس بلول موجها الكلام له : منصور فتحي أعندك شيء نحو الجريمة ؟

قال ملتفا لعمه : أنا كما تعلمون منذ طلقتها من سنوات لا أتحدث معها إلا في مناسبات العائلة بحكم أننا أقارب وبكلمات التحية .. وهي منذ الانفصال تشوه سمعتي .. المحير يا عمي في الجريمة المزدوجة

قال الأب : وما هو المحير بحكم أنك محامي ولك على مثل هذه الدواوين ؟

ـ المحير يا سيدي من المقصود بالقتل أصلا ؟ سندرة أم جيتا ..فالشرطة في حيرة .. زوج سندرة أراد إرسالها للإجهاض صحيح أنها مكرهة ، ولكنها موافقة عليها فلماذا يقتلها ؟ !وجينا رافقتها فهل جيتا هي المقصودة أصلا بالقتل لدوافع مجهولة لدى الشرطة ، وانتم ظننتم أنها رحلت إلى إيطاليا لأنها تحدثت معكم عن رغبتها بالسفر للعمل في بنك إيطالي كما سمعت ولها عادة بالذهاب لأوروبا ضمن نشاطها الحزبي المعروف للجميع فذهب ظنكم أن الغياب الطويل بسبب السفر والعمل

ـ هذا ما قالته لنا قبل ذلك الخروج قالت أمها ذلك كانت ترغب بالهجرة وترك البنك فاعتقدنا ذلك لطول غيابها ، ولم تعد سهراتها تزعج سكان العمارة وغرقنا بالهدوء واختفاء الزوار

فعاد المحامي يقول : المحير هل لجيتا أعداء أوقفوا سيارة سندرة واضطروا لقتل سندرة أم لسندرة أعداء اضطروا لقتل جيتا ؟!.. هل ماتيو القاتل ؟ ولماذا يقتل زوجته أولا ثم يقتل لجينا فهو يعرف أنها صديقة لزوجته قبل أن يتزوجها ؟ وقال لي إنها سهرت معهم مرات معدودة .

قالت الأم باستسلام بعد سماعها تفسير نسيبها سابقا : الأمر محير فعلا ! وحتى نحن موقفنا محير يا منصور ! لم نسع للاتصال بها ، لم نسأل أصحابها وحتى حزبها الفاجر ، خيم علينا السكوت ، حتى لم نسأل عن سيارتها ؟

قال منصور : فعلا موقفكم الغريب منها محير للشرطة ، لم تتحدثوا عن غيابها كل هذه المدة وحتى موظف موقف السيارات تجاهل طول غيابها ظنا أنها سترجع في يوم الأيام ، ورغم طول المدة لم يبلغ الشرطة أو إدارة السير عن اختفاء صاحبة السيارة

قال شقيقها الكبير سعدي محللا : السبب للصمت يا عم منصور أنها كانت مزعجة جدا للبيت فرحليها لإيطاليا كان بالنسبة للوالدين نعمة .. وأنت نفسك طلقتها لكثرة سهراتها ومجونها غير الطبيعي والخارج عن المألوف كانت تعيش ملهى ليلي

وذكر فقال :ولا تنس يا ابن عمي عدم قدرتها على الحمل يا سعدي

ـ صحيح والأسرة صدقت أن رغبتها بالسفر إلى روما عن طريق ماتيو زوج سندرة بحكم إيطاليته ومعرفته بتلك الأمة والصداقة القديمة بين جيتا وسندرة

ـ والشرطة لا يجدون دافعا لديه للقتل ، وهم كما قال لي صديق في دائرة التحقيق لحتى الآن لم يستطيعوا ربطه بالقتل ، فلم يثبت لديهم وجوده على مسرح الجريمة أو شريك له نفذ الجريمة والإجهاض كان برغبته وبضغط منه .. غادر شقته بعد خروجها بأكثر من ساعتين وبشهادة صاحب بقالة في الشارع معتاد على تحيته في الصباح وشراء الدخان وغيره منه وخادمة البيت تشهد بخروجه عند الظهر ، وتناول طعاما في مطعم قرب سينما يتردد عليها بين حين وآخر وزعم انه ذهب للسينما ظهرا ، واعتذر عن العمل ذاك النهار في معرض بيع السيارات وأكد مكتبه ذلك الغياب

ـ وصاحب الموقف والكراج

ـ قابلته يا عمي فقال قالت بعد أن أودعت السيارة في موقفه قد أتأخر الى الليل فقال لها : نحن نعمل على مدار الساعة وكان مستغربا لغيابها كل هذه المدة ولا يعرف أحدا ليتصل به وحتى

هي لم تتصل به ونسي الأمر

قال سعدي : حتى نحن لم نتلق منها رسالة اتصال مخابرة ولم نسع لذلك

قال الأب : كأنها كانت كابوسا على البيت والجيران والآن أمست كابوسا اشد حتى نعرف من الذى اقترف هذه الجريمة البشعة ، وكأن تلك الغابة غير مطروقة

ـ الغابة كبيرة ومطروقة ولها مداخل كثر والذي ساعد للوصول للجثتين الكلب كلب الصيد وقليل من الصيادين يستخدم الكلاب في الصيد وكذلك موسم الصيد لم ينشط بعد

❋❋❋

الحيرة الشديدة أصابت فريق التحقيق في الجريمة المزدوجة اتصل الملازم زيد نعسان بشقيق الزوجة فارس وأخذ معه موعدا للحديث حول الجريمة ولما التقيا قال له : كما فهمنا من التحقيق الأولي أن علاقتك بأختك طبيعية كأي أخ واخت ، ولم تلاحظ أن بينها وبين ماتيو مشاكل كبيرة أو مقلقة للأسرة حتى لما علمت بعلاقاتها خارج الزوجية ؟

هز رأسه مؤكدا ذلك : صحيح لم الحظ بينهما غير الانسجام والحب المتبادل وكان ينفذ لها كل رغباتها ويسمح لها بالسفر مع أصدقائه لإيطاليا عند إجازاتهم أو الذهاب لمشاركة في مهرجان أو تسوق وحضور مهرجانات ورحلات وشراء ملابس وشراء كتب لمكتبة المركز بعد أن أتقنت لغتهم وكنا نسمع عن تشاركها في مناقشة الأفلام والكتب والمسرحيات التي يعرضونها وكانت مندمجة معهم بشكل جيد حتى حسبناها موظفة عندهم ، وكانت تدعونا أنا وزوجتي وأختي رندة وزوجها باركر أحيانا لحضور مثل هذه النشاطات كانت معهم في غاية الانسجام

قال : هل كان يعلم بعلاقاتها الجنسية مع الآخرين ؟

ـ هذا المدهش ! حسب كلام أختي رندة انه كان يعلم أولا منهم انفسهم ثم اعترفت له بخطئها وزعمت لنا وله أن ذلك حدث بسبب الثمالة ، ورأت أنه يعتبر ذلك طبيعيا بحكم علاقاته مع عدد كبير من الفتيات وبائعات الهوى ، ومعرفتي أنا بذلك عن طريق المحامية رندة وقالت أختنا في خطر رغم سهولة تقبل زوجها لذلك الانفتاح .. وهكذا تعلم كما قيل في تبرير صمته عن الخيانة الزوجية في أوروبا .. صحبة ليلة أو أسبوع فاضطرت أختي الفعل مثله .. ونحن لم نتدخل في هذا الأمر رغم قبحه وفحشه في موازيننا وعاداتنا .. وقد كان واضحا لنا أن الزواج زواج شكلي أمام أقاربه وأهله .. شاب يقترب من الأربعين وما زال عازبا ولقد كانوا يرغبون بتزويجه بنتا من أقاربه وهو غير متحمس لذلك ، ولم يكن مشدودا للعائلة وما زال ، وعلاقته اشعر أنها فاترة معهم

ـ هل ترى أن سببا لاغتيال شقيقتك من قبله ؟

فكر فارس للحظات ثم أجاب : لم اكن اسمع أسرار أختي قد نسهر معها ونشرب معا سواء في بيتنا أو بيتها أو حتى مع رفاقه الطليان بعض الأحيان .. هو تعرف عليهم هنا بحكم بيع وتجارة السيارات الإيطالية .. فصاروا يدعونهم لحفلات السفارة والمركز الثقافي الإيطالي حيث تنشر الأفلام الغربية والإيطالية خاصة والمسرحيات وحفلات الموسيقى ؛ فكان كأنه يعيش في إيطالية كما قال لي ذلك اكثر من مرة .. وحتى ابن عمه اصف ماهر الأكثر علاقة به يقول لا اعرف له أسرار خاصة بحكم ضعفي في اللغة العامية الإيطالية ، وحياته الخاصة نسوان وشراب وسهر كما كانت في بلد أمه بحكم أنها إيطالية وبحكم تربيته فيها .. وقصة جيتا داموس مع أختي غريبة كمرافقة لم نسمع عن ذلك هي صديقة لها منذ أيام الجامعة وهي للحق فتاة مستهترة وكانت متزوجة من محامي قريب لأبيها ثم انفصلا لهوسها بالسهرات الماجنة والصاخبة والتقيت به وحضرت جنازتها ؛ فليس له مصلحة في مقتلها حسب الظاهر ، والمشكلة أن عددا محدودا كان يعلم بوقت عملية الإجهاض الزوج والمحامية رندة والطبيب خوص والمركز الخاص بالعملية كانوا ينتظرون وصولها لأجراء فحوصات قبل العملية .. هذا ما علمناه عمن يعرف موعدها ربما رفاقه الطليان .

عاد الضابط المحقق يقول : لم تلحظ شيئا لم تأخذ بالك منه تلك الأيام من كلامها من حالها من مشكلة طارئة أو سابقة

ـ لم نر الغيرة سببا للجريمة ، فهو تقبل سقطاتها كما يقول بروح رياضية .. لم يحدث شيء يثير الانتباه إلا بروده عندما اخبرنا عن ذهابها للإجهاض، ولم يكن قلقا على غيابها ؛ فكأنك تحس انه يعرف شيئا ؛ لكنه غامض وحتى لما نقل إليه خبر اغتيال زوجته لم يبدُ متأثرا أو مصدوما مثل من يعرف بمصيرها بس لم نجد دافعا

عقب المحقق : وهذا حيرنا أيضا وأثار دهشتنا أنها زوجة فحتى الحزن لم يظهر عليه نحو مقتلها وذهب التحقيق الأول إلى أنها اختفت بنفسها للمحافظة على الطفل الجنين ولم نعرف بذهاب جيتا معها ، وأهل تلك الفتاة كانوا على جهل بمن رافقت ذلك الصباح وعلموا بغيابها من

البنك وصديقات البنك وظنوا أنها سافرت لإيطاليا ولم يسعوا للتأكد من ذلك لأنها قبل أيام أخبرت أمها أن سفرها اقترب .. ألم تتحدث أختك عن الطلاق أو التلويح به ليضطر لقتلها بمساعدة آخرين ؟..فكر تذكر مواقف كلمات خرجت أثناء حفلة سكر وحشيش

ـ لليوم منذ ظهرت جثث الفتاتين وانا افكر وأراجع ، وكما قلتم وقلنا لماذا يقتل ما دام الإجهاض لم يجد اعتراضا من أختي رغم كرهها لذلك ؟ وفي النهاية هو والده ..تحدثوا مع شقيقتي المحامية فهنّ كأنهنّ توأم .. فحياة الضحية مكشوفة لها اكثر مني ؛ فكانت تحدثها عن حياتها الخاصة وعلاقاتها الغرامية الخاصة .. حقيقة تبين لي بعد زواجها أن أختي عديمة الشرف بسماحها النوم مع رفاق زوجها وبعلمه ، وهو معه حق بقتل الجنين فهو قال وما أدراني انه من صلبي ، فعندما تعاشر المرأة عددا من الرجال هل تراها تعرف ممن حملت ؟ .. وقال صحيح أن الفحص الحمضي يبين ذلك بنسبة عالية ؛ ولكنه سيحمل اسمي لأنها مسجلة على ذمتي حتى لو طلقت

قال المحقق : يا أخ فارس عليك أن تراجع حياتكم معه ؛ فليس لدينا مشتبه به غيره حتى عشاقها تبين أن ليس لهم علاقة بموتها ؛ وليس لهم دوافع لقتلها لأن علاقاتهم معها عابرة لقضاء شهوة فحسب ليس علاقة حب وغرام ، وهي كما قلتم انتقام من زوجها لإثارة غيرته ؛ ولكنه لم يغار وأن الزوجة عنده مجرد منظر وديكور ؛ وليس هناك دافع بينا وواضحا للجريمة .

ـ هذا هو الصحيح ، وهذا ما تبين لنا وهي لم تفكر بالطلاق لما اكتشفت خياناته المتكررة ، وهو لم يثير أي مشكلة لما عرف بخيانتها له ، سكت ولم يهتم بالشرف والكرامة وكان يقول هم يقولون لي ذلك فكما تخونهم زوجاتهم وعشيقاتهم فيخنون زوجات الأصدقاء فيقبلون الخيانة هكذا تربوا في أوروبا

***

ذهب الملازمان زيد ومناف لبيت شقيقة الصحفية المقتولة لمقابلتها على موعد تم ترتيبه واعتذروا لزوجها من حضور الاستجواب فغادر الغرفة فقال :ما تشربون ؟

ولما اصر طلبا شايا فقال الملازم الأول مناف جاكر للمحامية : نحن تسلمنا التحقيق في قضية مقتل شقيقتك وصاحبتها (جيتا) ولم نتمكن لليوم من إدانة الزوج بالجريمة المزدوجة ، ولم نستطع إثبات وجوده على مسرح الجريمة بنفسه أو بشريك رغم خروجه من البيت بعد خروجها بساعتين لأخذ فرجينيا والذهاب لفلفلة وزعم انه تناول طعاما في مطعم وسط المدينة وذهب لحضور فيلم سينما في سينما (الخزانة) فهل لديك ملاحظات بسبب علاقتك القوية بأختك ؟وبأسباب شكك من حدوث جريمة ؟

أشعلت سيجارة وتنحنحت وقالت : حسن .. هل تدخن ؟ لا حسن .. كانت أختي صديقتي ليس أختا فحسب ، وتسر لي بأحوالها الخاصة ، ولم تكن علاقتها سيئة بماتيو منذ تزوجا واعترف بصدق كانت نظرته للزواج نظرة شكلية وقطعة أثاث في الفيلا فالأكل والنظافة والغسيل تقوم به خادمته الأفريقية التي احضرها بعد الاستقرار من روما حيث كانت تعمل في فيلاته مع زوجها الذي تعرض لحادث سيارة ومات فيه .. وأختي حقق لها الكثير من الرغبات والحرية وقبلت بهذا الوضع دون ضجر أو فتور حتى أنها تمادت في تلك الحرية

قال احدهم : أوضحي سيدتي ـ وتناولا الشاي من باركر وشكرا بهز الرأس ـ اكثر عن هذه الحرية

سكتت لحظات ووضعت كوب الشاي على طاولة صغيرة ، ثم عادت للشرح والتفسير : حسن أختي بصراحة سلمت جسدها له أثناء الخطبة قبل العقد الشرعي ، فهذا يدل على تعلقها به كثيرا ولا اعتقد أن للسكر علاقة بهذا الخضوع وحملت منه دون رضاه يا سادة كما حصل في المرة الثانية التي أدت للجريمة الغامضة .. ونتيجة للحمل هذا دفعهم للإسراع بالزواج الشرعي وكتابة العقد وسافرت لإيطاليا معه ثم رجعوا فترة لا تذكر ثم سافروا حتى ولدت هناك فهو نصف إيطالي ؛ ربما إيطالي بالكامل كل حياته هناك إلا السنوات القليلة هنا ..ثم عادا بعد الولادة بأشهر يسيرة بحيث لم يشعر الناس بالحمل أثناء الخطبة خاصة الأقارب .. وعملت معه في شركة تجارة السيارة الشركة الخاصة به وهو شريك ابن عمه اصف ماهر بتجارته ولابد أنكم

تعرفون ذلك، فهو اقرب الناس اليه من عائلته ، فهم شركاء في كثير من التجارات ونتيجة لرحلتها للعيش كل تلك الفترة في روما استقالت من الإعلام العسكري حيث كانت تعمل صحفية عسكرية ومذيعة عسكرية .. وبعد حين فتح لها شركة جريدة أسبوعية مع رفاق لها وتحولت لمجلة شهرية ثم أغلقت لفشلهم في تسويقها أو ضعف الاهتمام بها وهو لم يقصر حقيقة بتمويلها .. ولما كان الرجل سكيرا مفرطا تعلمت منه السكر والتعاطي للتسلية مثله ومثل رفاقه الأجانب واكتشفت انه يعمل علاقات مع فتيات أجنبيات رغم الزواج الشرعي أي لم يتغير فيه شيء بعد الزواج فسقطت هي في الرذيلة معاندة انتقام احسبوها كيف شئتم بعلاقات مع أصحابه هنا وخارج البلاد كانت مستهترة ، وهو لم يكترث ولم يظهر غيرة عليها ، وكانا متفقين على عدم الحمل واكتفى ماتيو بطفلته الأولى وهي ظلت في روما في حضانة خاصة ورعاية أمه الإيطالية وأختيه ولما يشتاقون إليها يسافران إليها وهو غالبا ما يحضر أعياد الميلاد الأوروبية هناك وهو تعود على ذلك بحكم ولادته هناك وحياته فيها وبحكم أن والدته إيطالية فهو هنا من سنوات ربما عشرة سنوات فقط ، فلما حملت لظروف خاصة بها وكتمت امر الظروف عنه فتضايق لما علم وطلب منها الإجهاض لمخالفتها الاتفاق أو انه شك انه ليس منه وهي لا تعرف فعلا ؛ لأنها أزالت المانع بسبب أمراض مهبلية ورحمية فنصحها الطبيب بإزالة اللولب لفترة وحملت خلال فترة العلاج وأخبرتني برغبته بقتل الجنين وهي لم تمانع رغم رغبتها الأكيدة ببقاء الحمل فرتب لها مع طبيبها رحلة لمستشفى الأجانب في تلك البلدة فلفلة بدلا من السفر لروما التي تبعد مائة كيلو متر عن جبل السوار .. وانا عادة بيني وبينها اتصالات يومية لما أكون في المدينة فلما مضى اكثر من يوم بدون اتصالات وسكتّ بسبب سفري لمصر لمهمة وسياحة قلقت عليها ولما ترد على الخلوي وبعد ثلاث أيام من الاختفاء زرت ماتيو غاضبة فلم يكن يرد على هاتفي هو الآخر فوجدته في بيته مع أجنبيات في حفلة حشيش وسكر وطرب بزعم أنهنّ أو إحداهنّ ترغب بشراء لادا .. فهذه سهرة على شرف الشراء فقال لي إنها ذهبت لعملية إجهاض في مستشفى فلفلة واتصلت بالمستشفى فانكروا وصولها اليهم حسب الموعد رغم انتظارهم لها

نهار يوم الاثنين من نوفمبر من العام الفائت ثم ابلغنا الشرطة ولم تحقق نتائج إيجابية عن مكان اختفائها ولماذا اختفت ؟ وزوجها انكر اتصالها به منذ خرجت للعملية وكان ينتظر منها كما زعم تلفونا وقالت الشرطة شرطتكم إنها لم تخرج من البلاد حسب أوراق الحدود والمخارج حتى اكتشف شباب من هواة الصيد جثمانها في تلك الغابة هي وصديقتها التي زعم أهلها انهم كانوا يعتقدون أن ابنتهم سافرت لروما للعمل حسب كلام سمعوه منه ؛ وكأنهم تخلصوا منها فقد تبين أنها كانت تسبب لهم مشاكل مع الجيران هي وشلتها ومزعجة لوالديها .

ـ هذا كله مدون في أوراق التحقيق القديم ، وخلال هذه المدة ألم تدركي شيئا فعلا كلاما إشارة ؟ فالإجهاض يبدو انه ليس سببا لجريمة .. بدا لنا ذلك فهي كانت موافقة عليه من كلامك ومن كلام الطبيب خوص لم ترفضه ليضطر لقتلها.

قالت : هذا ما يحير ! هي كانت تتألم من ضعف غيرته عليها وكانت تعترف له بمغامراتها العاطفية فلم يبد عليها أي غيرة وردة فعل .. والخمر الزائد والحشيش يفقدان الناس الغيرة إلى حد كبير وكذلك تربيته الأوروبية

ـ حتى أصحابه لم يكونوا يعرفون بقصة الإجهاض إلا بعد الاختفاء الغامض سوى فرجينيا موظفة السفارة حسب أقوالهم ؛ لأنها هي التي دلتهم على ذلك المستشفى ، ولم ترافقها كما زعم ماتيو ، وثبت لدينا عدم غيابها عن مكان عملها ، ولم يعلم أنها أخذت جيتا معها رفيقة ..حتى السيارة لم يكتشف أمرها إلا بعد اكتشاف الجثث كانت مخفية بمهارة وبعيدة عن الشارع العام

ـ لم اسمع منها إلا رغبته بالإجهاض وتضايق جدا من حملها بدون الاتفاق معه حتى فرجينيا التي ساعدته بأمر المستشفى لم تعرف مسيرها إليها ذلك الصباح وهو اعتقد أنها ستذهب أليها لترافقها تلك الرحلة لتر قريبها الموظف في المستشفى أو هو يكذب في هذا الزعم ؛ لأنه يعلم أنها مقتولة وانتهت من حياته

ـ ألها أعداء منهم أو من غيرهم يمكن أن يقتلوها ؟

ـ لم نكن نختلط بهم سوى لابتياع بعض الحشيش للسهرات الخاصة فكان شقيقي يأخذ منها وزوجي كذلك ومن ماتيو وفرجينيا وكانت فرجينيا تدخلها البلد بحكم وظيفتها في السفارة وهؤلاء لا يتعرضون للتفتيش الدقيق ؛ لأنهم ربما يحملون وثائق سرية تخص السفارة وبلدهم ذهابا وإيابا .. وابن أخي المهندس سبل مثلي يتعامل معهم أيضا من اجل الحفلات الماجنة التي نفعلها أحيانا حتى انه تشاجر مرة مع ماتيو من اجل كمية طلبها لأصحابه ولم يوفرها له وكان سكرانا أثناء الشجار حتى اضطر ماتيو إلى قطع علاقته معه فكان يشتري من عمته أختي مباشرة

ـ علاقتك مع تلك المرافقة .

ـ لا اتصال بيني وبينها فقط اعرف أنها صديقة لأختي من أيام الجامعة وقصة السفر لا ادري من أين جاءت بها أو أهلها .. فماتيو ينكر انه وعدها بشيء ويمكن أن يكون ذلك صحيحا شاهدتها في حفلات أقامتها سندرة .. أليس لهم يد في الجريمة ؟

ـ لم يثبت أنها المقصودة بالقتل واستغل احدهم رحلتها لقتلهن فالأصل أن الرحلة كانت لأختك ، فلم يعرف أنها سترافق أختك إلا سالا ؛ ربما كانت سترافقهن لولا أن حال امر دون ذلك وتحرينا عنها فجيتا وسالا عضوتان في الحزب الماركسي المحلي ولسن بالأعضاء المهمين لتتعرض للقتل والاغتيال .. وذهبت برفقتها وليس العكس .. وسجل هاتف كليهما لا يشي بشيء غامض تحدثنا مع كل من اتصلن بهم منذ خرجن من بيوتهن

ـ لعل احدهم سمع بتلك الرحلة وتبعها لغرض في نفسه فقتلها ثم قتل أختي ؛ لأنها شاهدة على الجريمة فهي امرأة مطلقة من قريبها وكانت مزعجة لأهلها والجيران

ـ لم يحدد الطب الشرعي المقتول الأول فالقتل في نفس الوقت رصاصة في رأس كل واحدة ونحن نحقق في هذا الفرض لكن قصة السفر تحدث بها اكثر العائلة ومن خارج العائلة وعدم السؤال عن غيابها يؤكد إلى حد كبير انهم كانوا يظنون ذلك أو يعتقدون فرضية السفر والعجيب انهم لم يتصلوا بها أو يقلقوا لعدم اتصالها بهم وزوجها محامي مثلكم وهما منفصلان

من سنة أو اكثر وهما أقارب ليس هناك سبب لقتلها لنهتم به

ـ اذا تذكرت أمرا سأخبركم به فأنا قانونية واكبر من أختي بخمس سنوات كان لها علاقات جيدة مع المركز الثقافي الطلياني وكانت تساعدهم في شراء الكتب من معارض أوروبية خاصة لما أحسنت لغتهم أوجدتم لديهم شيئا ؟

ـ لا شيء عندهم .. شكرا فنادي على زوجك الآن لعلنا نجد عنده ملاحظة .

لما حضر باركر قال : لم تكن لقاءاتي بماتيو إلا بحدود ضيقة لعمل أو زيارة اجتماعية وحقيقة فكرت بهذه الحكاية منذ الاختفاء الغامض ولم افقه مغزى للجريمة فهي غامضة جدا ودافعها غير موجود فحياة الصحفية سلسة مع ماتيو ؛ بل حتى أنها تملك حرية كاملة .. لا اذكر انني سمعت انه منعها من حضور سهرة حفلة وهذا اتفق عليه أثناء فترة التعارف والخطبة .. بل عجبت من ضعف ردة فعله على أفعالها القبيحة .. وعللتها بفساده الجنسي وتربيته الأوروبية قضى اكثر سنوات عمره بعيدا عنا .

***

التقى المحققان بابن أخت الزوجة القتيلة سندرة السيد سبل فارس في مكان عمله حيث يعمل في مكتب هندسة فني هندسة ، وسئل عن قصة مشاجرته بماتيو الحدث الأهم بينه وبين زوج عمته فرواها كما نقلت لهما من المحامية ، ولما سئل عن دور ماتيو في مصرع عمته ، وهل يمكنه أن يشك فيه كقاتل ؟ فقال مظهرا حيرته كغيره : فكرت بذلك فعلا ؛ ولكن تبين أنه على علم بعملية الإجهاض وزار المستشفى واتفق معهم وعلى تحديد يوم الإدخال فهو الذي رتبها مع ذلك المستشفى الخاص وبرضا الدكتور خوص الذي كان يرى أن عليها خطرا منها على حياتها أنا أول مرة اسمع به ـ اقصد المستشفى ـ وأن له الحق بعمليات إجهاض ولو مخالفة للقانون المحلي ، وكنت استغرب من شك عمتي رندة بمقتل سندرة منذ اختفت سندرة ..هل تخفي عني شيئا بينها وبين القتيلة ؟! وكانت مفاجأة كبيرة للجميع مقتل صديقتها جينا معها واختفاء الجثث لأكثر من أربعة اشهر وأيضا موقف أسرة جيتا فهو أشبه بموقف ماتيو .

قال زيد نعسان : بالنسبة للمستشفى هو يعمل عمليات إجهاض خاصة بفتيات الأجانب فحسب أما الإجهاض القانوني مسموح به في كل المستشفيات كإجهاض حمل نتيجة الاغتصاب أو قرر أطباء خطر الحمل على صحة وحياة الأم أما الإجهاض من اجل الإجهاض فلا يسمح به هنا انتبه لذلك يا حضرة المهندس !

فقال : شكرا افهم ما وضحت ! يعني حمل الزنا مسموح في البلد إسقاطه .. وأما لعمتي سندرة رحمها الله فعمتي المحامية كانت مطلعة على تلك الرغبة .. وتبين لنا للأسف حياة سيئة لعمتي سندرة لكن فلماذا تقتل ؟ هو لا يرغب في الخلفة وعمتي موافقة على ذلك القرار .. ولكنهم برروا الأمر بمرض نسائي اجبرها على رفع المانع وبدون علم السيد الزوج ماتيو لا أدري كيف تفكر النساء ؟ هذا امر يلزم التشاور به .. وابن عمه اصف انكر أن يكون ابن عمه قاتلا ولماذا يقتل ؟ الكل يسأل هذا السؤال البدهي ؟ ما يسمى عندكم الدافع والغاية من قتل امرأتين ! أما أنكم تشكون فيّ بقتلها بسبب المخدرات ؛ فلست مدمنا أنا كباقي الأسرة استعملها في سهرات وحفلات خاصة للانبساط والكيف أن صح التعليل يا سادة .. لن تجد لي اسما في سجلاتكم الرسمية .. فكان اللعين ماتيو الذي احتقره منذ دخل العائلة يدبرها لنا من أصحابه الطليان بأثمان رمزية ؛ ربما أجور طريق ، وكانت أحيانا كثيرة تهدينا عمتي خمورا إيطالية غالية السعر يستوردها زوجها السكير والهامل خصيصا له ولرفاقه أو تهدى لهم من أصدقاء المركز الثقافي .. وأخلاقه مع النساء فضيحة بالنسبة لنا .. ولكنها عادات تعود عليها في بلاد الطليان ولابد أنكم عرفتم ذلك عنه وعن رفاق حيه .. ولكنه المال هو غني وثري من قبل أن يأتي للعمل في بلادنا

ـ لم تسمع من عمتك كلمة شكوى تدفعه لقتلها أو امر يدفعه لاغتيالها

ـ كنت اسهر أحيانا معهم .. لتقديم الشكر للخمر والحشيش المهدى لنا ..كل كلامهم عن اجمل بنت أوسخ بنت .. رحلات الزنا للغرب مقابلة ممثلة مغنية وعن الثياب الأوروبية

والعطور الفرنسية والمطاعم العالمية يحجون إليها لأكل سندويشة أو قطعة لحم منقوعة بالخمر أو البول .. حياتهم الخاصة حياة مجون ورقص وخلاعة بمعنى آخر

ـ أنت ترى انه لا يمكن قتلها من قبله أو قبل رفاقه نتيجة تصرف أو موقف منها ناحيتهم أو كشفها سرا له ولهم

ـ ليس لديه أسرار تذكر ولا اذكر أني عرفت عنه سرا منه أو من عماتي .. بصفته نصف إيطالي فكل أصحابه في الخلاعة والشبق من الحي الإيطالي فكل ألفاظهم قبيحة حول النساء وجمالهم وأفعالهن الوقحة في الفراش أو السرير حتى كنت اندهش من عبارات سندرة التي تربت هنا فأجحرها فتبتسم وتقول اهدأ أنت ضيف ، ولما انكشف فسقها وفجرها فهمتها اكثر .. ولم تكن علاقتي معه علاقة مميزة لقاءات وزيارات بحكم أن عمتي زوجته وكانت سعيدة معه حسب الظاهر وكانت تتمتع بحرية عجيبة حتى علمت أنها تعاشر أصحابه دون غضب أو غيرة منه ؛ كأنهما يعيشان في أوروبا المعاصرة وحتى أقاربي أو أسرة أبي سكوت دون اعتراض على علاقاتها الإباحية وسفرها بدونه ، فحوابهم ما دام هو قابل الأمر فلماذا نتدخل نحن ؟ هذا دفاعهم الضعيف عن حريتها ووقاحتها وخلاعتها وبقليل من التفكير والنظر تجدهم على حق والسبب من وجهة نظري هو يعيش نفس الحياة السخيفة التي عاشها في أوروبا قليلا ما تجد له صاحبا عربيا منا .. والمحير اكثر مقتل صديقتها جيتا معها !

ـ الفتاة الأخرى أتعرفها ؟

ـ اعرفها كصديقة لعمتي فكانت أحيانا تحضر حفلات عمتي الخلاعية فهي من ناحية الأخلاق مثلها لا يرون حرجا في العلاقات العابرة للأجساد مما يثير الاشمئزاز حتى في سكير مثلي .. وهي تنتسب للماركسيين في البلد .. وهي امرأة تبين أنها مطلقة والغريب في الجريمة صاحب موقف سيارات الأجرة لم يبلغ عن اختفائها للشرطة العادية أو المرور

ـ مجرد سهرات معهم لم يكن بينك وبينها علاقة خاصة

ـ لا ، لا ، عمتي فقط يا سيدي! تشعر أنها مريضة رغم جمالها ونحافتها حتى دهشت من

قتلهما ، علاقتي معها يا سيدي كعلاقتي مع عماتي وأعمامي لم تكن علاقتي بها مميزة عن الآخرين والمرأة الأخرى معرفة بسيطة يا سيدي ! لما كنت التقي بعمتي لحاجة أيام عملها في إذاعة الجيش كانت عمتي قبل زواجها من اللعين ذات أخلاق طيبة وحسنة ، لم تكن تشرب كثيرا ؛ ربما كأس صغير في حفلة أو عيد ميلاد أو حتى في حفلات رأس السنة الميلادية .. لم يكن عندها مجون حتى لم أراها يوما سكرانة بحق حتى لما سمعت بحملها قبل الزواج الرسمي صعقت فعلا صعقت ، وجرى يومها أيضا كلام عن الإجهاض ، ثم تزوجا وسافرا لقضاء شهر عسل طويل في روما وطويت الفضيحة ..كنت اسمع الأخبار عنها من أبي فارس

ـ ألا تظن أن جيتا هي المقصودة بالقتل وعمتك قتلت كشاهد على قتلها ؟

فكر قليلا وقال : عمتي هي التي كانت ذاهبة لمستشفى الإجهاض إلا اذا استغل احدهم تلك المرافقة ؛ لكن أهلها كما قيل ونشر يظنون أنها التقت بعمتي ذلك الصباح لحديثها أنها تستعد للسفر إلى إيطاليا كما قيل وحتى طليقها المحامي منصور وهو ابن عمها كان يعتقد أنها سافرت لإيطاليا وكانت مبغوضة من العائلة

***

السفر للترويح

التقى ماتيو وفرانك في ملهى الوردة في الحي الطلياني بعد الطعام اقتربوا من صالة الرقص والغناء الأوروبي فقال : أين صديقتك كاميليا ؟

قال ضاحكا : ستأتي ومعها قريبة لها ، فنحن على موعد مع الرقص واعتذرت عن العشاء معي لكنها ستشرب معنا دعوتك قد نحتاج لراقص مثلك

ـ قريبة شابة ، أنا لا احب الرقص معي الكبيرات في السن مسيو فرانك

ـ من سنك تقريبا قدمت من ميلانو في زيارة وسياحة ليست أم كاميليا

ضحكا على النكتة ، ولما بلغت الساعة قبل نصف الليل بقليل حضرت كاميليا وبنت خالتها الأرملة جوليانا جرى التعارف سريعا ، وضع النادل المشروب الذي طلبه فرانك قبل حضورهن بدقائق رحبت كاميليا بماتيو تاجر السيارات كما اشتهر بينهم وقالت معرفة : ابنة خالتي ترملت من شهور مثلك ، فدعتها أمي للسياحة في جبل السوار ، وأحب صاحبنا فرانك الاحتفاء بنا هنا واعتذرنا عن العشاء لقيامنا بزيارة خاصة بجوليانا

رحب ماتيو بهن من جديد ، وشربوا نخب الأرملة فقال فرانك : زوج جوليانا الميت الماني عرفته في ميونخ وبعد حين تزوجا ، ثم تعلق بالمخدرات حتى ادمن عليها فأهلكته وكادت تدمن مثله ، فأنا التقيت بها اكثر من مرة في ميلانو فهي تعشق كرة القدم مثلي وكنا نترافق سوية لحضور دور

ودار الحديث حول كرة القدم الإيطالية ثم العالمية ثم دخلوا حلبة الرقص وأبدت إعجابها برقص ماتيو ، وقد سمعت بعض قصة مقتل زوجته وهي في طريقها لعملية قتل جنين فقتلت مع رفيقة لها ، ولما انتهت الجولة وعادوا للجلوس وتناولوا بعض الكحول قالت له متعاطفة : البوليس لم يصل لشيء

فقال باسما : البوليس ضعيف في هذه البلاد ، بعد شهور حتى وجدوا الجثة ، ووجدوا معها جثة أخرى اربكت التحقيق والمحققين

فقال فرانك معلقا : الجريمة غريبة يا ماتيو هل القتل في الأصل كان لسندرة أم لجيتا رفيقتها ؟

فقال : لا احد يدري .. أنا كنت أظن أنها ستأخذ معها صديقتنا فرجينيا ؛ لأن قريبها يعمل في المستشفى ليهتموا بها اكثر

فقالت كاميليا : الغريب اكثر موقف أهل جيتا ! اختفت كل هذه الشهور ولم يتحروا عنها

قال : كانوا يظنون أنها سافرت للعمل أو البحث عن فرصة في أوروبا ..وكانوا ينتظرون اتصالا منها عنوانا بريدا

قالت جوليانا : هل تأثرت كثيرا بموتها؟ أنا ارتحت من باركو قضيت سنوات بين المستشفى والبيت من اجل المؤازرة

قال : هل كنتم مرطبين بعقد

ـ عقد مدني في سجل الزواج المدني ؛ ليس عقد كنسي فهو شيوعي لا يؤمن بالكنيسة وأنا مثله

قال فرانك : هل ورثت عنه شيئا كوصية ؟

ضحكت هي وكاميليا وقالت : ورثت ديونا عنه ، ولم اعترف بها لتجار مخدرات في شوارع روما وميلانو

فقالت كاميليا مخاطبة ماتيو : هل ستتزوج من جديد ؟

فقال : في مجتمع كهذا لابد من زوجة يا كاميليا

قال فرانك : الاختلاط بين الأسر الشرقية يحتاج لزوجة يا كاميليا

قالت : جرب الأجنبيات

فضحك وقال : الأجنبيات لا يرغبن بالزواج الدائم إلا على كبر .. وأنتم تعرفون أنني كنت متزوجا شكلا .. فالعربية ومن هذا البلد انسب للاختلاط مع عائلات الأقارب في الجنائز والأعراس وسوف أتزوج فابن عمي اصف وأعمامي يحببون لي ذلك لأنسى مأساتي مع سندرة حسب زعمهم وحتى يرغبون بإعادة ابنتي ريتا من روما وقد رفضت حتى تكبر وتتعلم في الجامعة

فقال فرانك : أنا وكاميليا نفكر بالزواج الرسمي تريد طفلا

فقالت جوليانا باسمة : انتم أصدقاء فقط بدون زواج

قالت كاميليا : فرانك مثل جون يتسلى بأمر النساء

فقال ماتيو باسما : ألا تتسلين أنت مثلهم ؟

غمزت ضاحكة ثم قالت : لم الزواج والارتباط ؟ وأنا مستعدة لقبول طفل من فرانك بدون زواج على أن يعترف أنه ابنه وإن كان غير شرعي فأقول له لما يكبر أبوك صديقي فرانك

فقالت جوليانا لفرانك : حقق لها ذلك ، ودعكم من الزواج القانوني

ـ لست راغبا بالأطفال

ـ أنت مثل ماركو اللعين

***

بعد حين من إعادة المحاورة مع إخوة القتيلة وماتيو ومن له علاقة خاصة بهم قبلت الشرطة التوقف عن القضية حتى يجد جديد فقيدت ضد مجهول أو مجاهيل ، ورفعت الشرطة قيد السفر عن ماتيو باهر ؛ فلذلك غادر البلاد فورا وبرفقة ابن عمه اصف لرحلة في أوروبا وتفقد طفلته حيث كان أودعها حضانة خاصة ومتابعة من أمه ثم نقلت لمدرسة داخلية ، وبعد اكثر من شهر سياحة عاد اصف وحده للمدينة على أن يلحق به ماتيو وقد حمله اختيار زوجة جديدة له كما تناقشا خلال سياحتهما الأوروبية اكثر من مرة .

***

سافر ماتيو بعد عودة شريكه اصف في التجارة لسوار إلى السويد العاصمة وقابل الدكتور السويدي جوزيف هوفمان وقضى معه أياما في حانات ستوكهولم والتقى بابنة الدكتور المتبناة سامانيا وكانت له معها علاقات جنسية قبل زواجها ؛ كلما زار السويد والتي دعته إلى شقتها ليلتقي بزوجها الصحفي (جيرو بروسيل) وبعد أسبوع في عاصمة السويد عاد لروما والتقى بأمه وخالته وزوجها الطيار الإيطالي الأمريكي الأصل والعامل في قاعدة عسكرية قبل تقاعده

لحلف الناتو الذي تشكل لمحاربة الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٩ ولمات مات الاتحاد السوفيتي ومات حلف وارسو ، وبعض دوله التحقت بحلف الناتو ولم يمت ذلك الحلف وما زال مشغولا بالحروب الآسيوية والإفريقية .

كانت حياة ماتيو الحفلات والمراقص ودعوة العشيقات إلى شقته التي ورثها عن أبيه التي اشتراها بعد زواجه من ريتا أم ماتيو ، اتصلت به أخته الكسندرا ليلة تقول له إنها ستزوره مع صديقة لها للعشاء معه فرحب بها وبصديقتها ، ولما انتهى حفل العشاء وبدأ حفل الشراب سمع أخته تقول : ما رايك ب(مارتا) زوجة فهي ترغب بالزواج ؟

ضحك ماتيو كعادته : جميلة كم عمرها ؟

قالت الفتاة مارتا : خمس وثلاثون اصغر منك بسنوات

قالت أخته : تعمل طبيبة وتزوجت مرتين .. ماتيو وستسمح لك بالحرية كما فعلت سندرة.

قال : أنا أعيش في ارض عربية يا الكسندرا وبين أقاربي وقريباتي أنا تزوجت سندرة حتى لا اشعر بالحرج والضيق كلما ادخل على أنثى مباركا معزيا ومارتا أجنبية لن تحل المشكلة

قالت مارتا : أعيش معك احب الاستقرار مع رجل واحد ، زرت اكثر من مدينة عربية ولما حدثتني أختك الكسندرا عن مقتل زوجتك الغامض رحبت بفكرة الزواج من عربي إيطالي من شقيق الكسندرا وصوفيا

ـ أنا راغب بالزواج فعلا وتحدثت مع أمي ومع ابن عمنا اصف وكلفته بالبحث من جديد ولكني سأتزوج من عربية يا الكسندرا لأسباب اجتماعية خاصة بي

قالت الكسندرا: لم انتبه لهذا الشرط كما سمعت من أمك

قالت الأخرى : ولماذا عربية ؟

قال : لأسباب اجتماعية كما ذكرت سابقا وعيشي في بلد أبي قبل هجرته لروما واذا تركت جبل السوار يوما ما سأترك المرأة عند أهلها

قالت الكسندرا : قد ترغب بالرحيل معك

ـ أنا لا احب الإنجاب قد تقبل بالانفصال أملا بالولد .. أليس لك صديقا هذه الأيام؟

ضحكت مارتا وقالت : صداقة قصيرة يعتبرونني عجوز صداقة قد تستمر يوما او أسبوعا على الأكثر .. النساء كثيرات في المدينة لا يبحثن عن الاستقرار .. المتعة فقط .. وانا مليت من حياة المتعة وأسقام المتعة واحلم بالاستقرار فعلا ولما تحدثت مع أختك حلمت بذلك

قال : تعبت من حياة الجنس صدقوا ذلك اصبح ترددي على الأطباء كثيرا من اجل العلاج والاستمتاع .. نحن استهلكنا مع نساء العالم أصبحت الفنادق الضخمة لا تقدم لنا إلا الفتيات الصغيرات

قالت أخته : صحيح هذا الكلام

قال : صحيح اليوم أخذت حقنة علاجية صرت اجد صعوبة في قضاء الشهوة .. ذهبت الصحة والقوة وهجمت الأمراض وتبعاتها استهلكنا .. هل تعالج زوجك من مرضه الخاص ؟ علمت من أمي انه يعاني هو الآخر

ضحكت لانتقال الحديث عن زوجها أو صديقها هي لم تتزوج قانوني : لم يشف تماما وما زال يتعالج وربما نترك بعضنا بعضا

ـ لا امل في شفائه

ـ الأمل ضعيف لا تريد الزواج من الطبيبة مارتا

ـ ستكون حياتنا صعبة في البلد مع بني يعرب

ـ ماذا كنت تفعل بالسويد إذن ؟

ـ سياحة وزيارة لصديق والدي الدكتور السويدي جوزيف وابنته وزوجها الصحفي جيرو بروسيل .. واخبرني انه تعرض لإطلاق نار أثناء حفلة في مطعم فخم في مدينة نرويجية

ـ هو ما زال حيا

ـ ما زال حيا وهو قلق ، ويقول اذا فشلت مرة قد تصيب مرة ثانية يبدو انني أصبحت هدفا يجب التخلص منه ويشك في مخابرات الناتو

ـ الأمر جد مخيف .. كان صديقا مهما للوالد

قالت الطبيبة : كيف بنات السويد ؟

ـ كبنات إيطاليا أمضيتها حفلات طعام ورقص صدقوا لم أعاشر إلا واحدة وما صدقت وأنا اقضي رغبتي وبهدلتني في النهاية وأخذت الف يورو على ليلة أو ساعات فقط

ـ هذا أنت سخي !

ضحك وقال : لم تكن فتاة حانة أو مرقص كانت امرأة متزوجة كما اخبرني الطبيب جوزيف .

***

لما علم اصف بعودة ماتيو إلى الوطن اتصل بماتيو مهنئا بالعودة مخبرا له بأنه تعرف على فتاة تقبل به زوجا وذكر له مواصفاتها الجسدية ، ووافقت على اللقاء به للتعرف عليه ، وهي أخت صديق له سيعرفهما على بعض ، وهي مطلقة ولم تلد لأنها عاقر وعاجزة عن الحمل وهذا سبب ترك زوجها لها ، وهذا مطلب ماتيو أثناء وجودهما في سياحة أوروبية ، وهي موظفة بنك جبل السوار بنك قديم أسس في المدينة وربما أول مؤسسة مالية في جبل السوار ، وأضاف أنهم كانوا ينتظرون عودته للوطن ، ووافق ماتيو على اللقاء بها بعد استراحة لعدة أيام ، وكان قد ترك أمه وزوجها المريض عندما زاره في المستشفى للوداع وقد أخبر بأنه على وشك الرحيل من الدنيا فذهب لزيارته وألقى النظرة الأخيرة عليه كما توقع الأطباء قبل العودة لجبل السوار وأسر لأمه بخبر بوجود عروس جديدة في آخر اتصال من واصف قبل العودة فقالت : إن مات زوجي قد لا أتمكن من السفر

فقال : الأمر لك ولخالتي

ـ خالتك قد تشارك والأرجح أن لا تأتي فهناك ضغط في المستشفى العسكري فهناك جرحى كثر يأتون من الشرق الأوسط بسبب الاحتلال الغربي للعراق وظهور مقاومة عنيفة للناتو ومن قبل في أفغانستان

ـ لا ادري هل نتفق مع العائلة الجديدة فور نزولي للبلد ؟

ـ ألم يعرف قتلة زوجتك سندرة ؟

ـ توقف التحقيق ولا أتابع التحقيق ولا يهمني

ولما انقضى الشهر الثالث في روما وما حولها عاد للبلاد والى فلته ، عاد كما ذكرنا قبل سطور من تهنئة اصف له وذكره بأمر العروس ، ورحب به أصدقاء الحي والمركز الثقافي الإيطالي واحتفلوا بعودته بعد كل هذه الشهور بحفلة كوكتيل وشراب في مطعم إيطالي من مطاعم الحي الأجنبي وصدم ابتداء لما علم بأن فرجينيا على وشك إنهاء خدماتها في سفارة بلادها ،ولكنها أخبرته أن فتاة بديلة ستقوم بعملها وستوفر له الحشيش وللأصدقاء ، وستظل على تواصل معهم وكلما زار روما ستدعوه لزيارتها وبدأت تفكر بالارتباط برجل بشكل قانوني .

وكانت المرأة البديلة جميلة ونحيفة البنية ورحبت بالأصدقاء وغادرت فرجينيا المدينة ووعدتهم ببقاء التواصل واسمها (ساليا) وأبدت إعجابها بالصديق ماتيو واحتضنته وقبلته من وجنتيه فسمح لها بذلك وكان ذلك أثناء حفلة وداع فرجينيا التي اهتم بها جون وفرانك ، وأعطاها عنوان الشركة لتمتلك سيارة إيطالية .

***

رتب اصف ماهر لقاء بين مناية المرشحة للزواج وماتيو في مقهى وسط المدينة ، وبعد جلسة تعارف ذكر كل واحد منهما بعض المعلومات عن نفسه وثقافته وحديث مختصر عن اغتيال زوجته سندرة وجهلهم معرفة أسباب الاغتيال ، واشتكى من ضعف رجال البوليس في الوصول لنهاية للتحقيق ومعرفة للقاتل أو الجناة وحتى انهم لم يعرفوا كيف وصلت لغابة سندس ، ثم اتفقا على جلسة أخرى خاصة لمزيد من التعارف والتفاهم وكان برفقتها هذه المرة شقيقها يسري ، واختاروا مطعما كبيرا في قلب المدينة ورافق اصف ماتيو ثانية وسمعوا يسري يعرف بنفسه بأنه عمل كضابط شرطة في مطلع شبابه ثم استقال عندما تعرض لحادث برصاصة أثناء الخدمة الشرطية ، وعمل في التجارة وله شركة استيراد تتعامل مع واصف منذ فتحها فهو يستورد مواد غذائية وأنواع كثيرة من الحلوى والشكولاتة وهي سبب تعرفه على

اصف ماهر وشقيقه ، ثم قال بعد أن لخص له ماتيو ما قاله لمناية في اللقاء السابق : سمعت من واصف ابن عمك وشريكك التجاري والصناعي أن والدك كان معتقلا في سجن الدولة ربما كنت طفلا تلك الأيام

قال اصف : اعتقد يا يسري لم تكن مولودا أيام اعتقال عمي .

نظر في عيني اصف وقال : ربما .. كان أبي ضابطا قبل أن أكون ضابطا مثله يا أبا سمور وهو ما زال حيا عجوزا كبيرا في السن لعله يذكره لعلي إن ذكرت الحديث سأسأله .

قال ماتيو : أنا لم اعرف عربية والدي إلا بعد بلوغي عشر سنوات .. ثم عرفت منه أنني عربي وأن أمي فقط الإيطالية ..ولما جئت إلى هنا قبل سنوات سمعت من أعمامي .. أن الوالد كان قوميا اشتراكيا عربيا سياسيا معروفا وناضل مع الحزب حتى وصل الحزب للقيادة في البلد ولما عارض بعض الأفكار اتهم بالخيانة وحبس حتى تغير الزعيم للحزب فعفو عنه وكان الخطر محدقا به ففر خفية إلى إيطاليا وانضم للحزب الاشتراكي الشيوعي وصار إيطاليا وتزوج أمي الماركسية وابنة ماركسي وظل متخفيا خشية الاغتيال من قبل خصومه المتنفذين في الحزب القومي الاشتراكي واشتغل والدي كمحامي إيطالي ولما خف الخوف على حياته اعترف لي ولأختيّ بعربيته وكانت علاقته جيدة بروسيا ويعشق قادة الاتحاد السوفيتي كما تقول أمي .. فلما عرفت من أنا تواصلنا مع الأهل هنا وجاء اصف ووالده لروما والتقيا بأبي وبنا وبدأت استثمر بعض أموالي مع اصف ثم قررت استثمار المزيد من المال هنا فقد ورثت عن أبي الكثير منه وشقة خاصة به وبأمي .. ولما حضرت إلى هنا فتحت شركة استيراد سيارات إيطالية الصناعة ثم سيارات المانية ونتيجة لذلك تعرفت على شباب إيطاليين وامتلكت فيلا في الحي الأجنبي ثم تزوجت لأول مرة امرأة من هنا ذكرت قصتها لمناية في الجلسة السابقة

فقال يسري : رحمها الله وقد ذكرها لي اصف أولا ثم مناية كما سمعتها منك ولم تعرفوا أسباب اغتيالها وصديقتها .. فمناية تعرف صديقتها الضحية جيتا ؛ لأنها كانت تعمل مثلها في بنك جبل السوار .

قال آصف مغمغما : حقيقة قصة اغتيالها غامضة ودوافعها مجهولة فهي ذهبت لإجراء عملية إجهاض . وشرح لهم سبب عملية الإجهاض

فقال ماتيو : أنا ثقافتي وتربيتي أوروبية فاكتفيت بمولود واحد كعادة وتقاليد أوروبا فلما حملت سندرة دون رغبتي صممت على الإجهاض وحجزت لها في مستشفى محلي واجنبي في نفس الوقت وقد تأخرت الشرطة لشهور حتى تمكنت من اكتشاف الجريمة والجثث .. أنا لا اعرف كيف نظام التحقيق في بلادكم ؟

ضحك يسري : أنا خدمت فترة في الشرطة الجنائية وأساليبنا مثل أساليب الدول الأجنبية وعندنا فريق مختبر جنائي ونظام بصمات وقاعدة بيانات محدثة باستمرار .. ربما طبيعة بلادنا تختلف عن طبيعة بلادكم الغربية ، فالجرائم المعقدة نادرة في بلادنا .. لا تجد في بلادنا عصابات قوية ؛ إنما هم مجموعات منحرفة للسرقة أو ترويج المخدرات ولا تجد لهم ارتباطات في المافيا الدولية ولا يمكن اعتبارهم عصابة بمعنى العصابات الأمريكية والروسية والأوروبية .

وبعد عدة جلسات قابل ماتيو واصف وابنة عمه أخت اصف أسرة مناية حيث استقبلت والدة مناية وبعض إخوتها وأخواتها الضيوف فوالدها متوفى كما مع أسرة كلف وجرى التعارف والترحيب بين الفريقين وقال شقيقها الكبير يسري : أمهلنا أياما نتشاور به ما دمت قد قبلت اختنا زوجة لك وقد عرفتم بعضكم بعضا خلال الشهر الماضي

ووافق اصف وماتيو على المهلة رغم رضى مناية به ؛ ربما لإخبار الأسرة الكبيرة فقال ماتيو : أنا سعيد بالتعرف عليكم وابنتكم ستكون في عيوني كما يقال ولا تحلو الحياة إلا بالزوجة الطيبة والأمل أن أكون لائقا بابنتكم وأنا سعيد بنسبكم

واثنى اصف على الاسرة بكلام مناسب وشكرهم على القبول المبدئي وهم شكروه واثنوا عليه

فقالت الوالدة : انتم تعلمون أن ابنتا لا تستطيع الحمل

قال اصف : وهذا ما يرغب به ابن عمي فليس محبا للخلفة مثلنا ، فهو له بنت وحيدة من زوجته الأولى رحمها الله

فقال أخ لمناية : لليوم لم تعرفوا القاتل وسببه !

فقال اصف : كانت جريمة مروعة .. الجاني اجرم في حق فتاتين ، ولم يتضح السبب في قتل احدهما وعشنا ليالي وأياما لا تسر الصديق .

فقال يسري : تحدثت مع زملاء قدامى عن قصة الجريمة فقالوا لا شيء بين .. لا يعلمون من تسببت في قتل الأخرى .. حتى بعضهم علق على استفساري لما علم بأننا سنزوج مناية أختي لماتيو باهر قائلا كان المجرم أو المجرمين من خارج البلد كما رجحت التحقيقات .. بس لماذا ؟ لم نجد جوابا لماذا ؟ انتم ألم تشكو بأحد من زملائكم الطليان ؟

ضحك اصف وقال : ولماذا أيضا يتورطون في جريمة ؟ المشكلة في الدافع والهدف وحتى أموال سندرة تنازل ماتيو عن حصته الشرعية فيها وكذا حصة ابنته

عاد يسري يقول : الشرطة الجنائية في حيرة حقا وختموا بأنها قضية غامضة جدا جدا .. ألم يخطر في بالك شيئا سيد ماتيو ؟

ـ أنا كما يعلم اصف والعائلة رتبت عملية الإجهاض لظروف شرحتها لمناية ولا احب ذكرها الآن فاترك لمناية بيانها لكم .. ولما استعدت لذهابها لذاك المستشفى على طريق غابة سندس .. وكلانا كان غاضبا من الآخر .. وكنا على امل أن تعود البسمة والراحة لنا بعد الإجهاض خرجت قبل الظهر .. كيف توقفت السيارة عند الغابة ولماذا ؟ ومن أوقفها ؟ هل هي المقصودة بالاغتيال وذهبت جيتا كما يقال بالرجلين أو العكس ؟ أنا كنت أظن أنها ستذهب لفرجينيا فتاة السفارة قريبة احد أطباء مستشفى الأجانب ؛ ولكنها ذهبت لجيتا صديقتها واهل جيتا ظنوا أنها خرجت للسفر لروما للعمل ؛ ليس هناك سبب لقتل جيتا كما تخبر الشرطة ولا سبب بين لقتل سندرة

فقال اصف : والجريمة مدبرة بسبب إخفاء الجثث والسيارة حتى لا تكتشفا فورا ليتمكن الجاني أو الجناة من الاختفاء

قال يسري : هذه الحادثة مثل الجرائم السياسية والجاسوسية التي نشاهدها في الأفلام والتلفزيون

جرائم يلفها الغموض الشديد ويصعب فيها تحديد الدافع الحقيقي للاغتيال حتى ولو ألقي القبض على الفاعل ؛ لأنه هو مجرد أداة للجهة المكلفة له بالغدر

قال اصف : تقريبا

وتم الزواج ورحلت مناية لبيتها في الحي الإيطالي إلى فيلا ماتيو ، ودعي للحفلة أخوة الصحفية الضحية ، وقامت المحامية رندة وزوجها باركر عن العائلة كلها بحضور الحفل في فندق اللؤلؤ وغادر الزوجان لرحلة شهر العسل في أوروبا .

***

مضت اكثر من سنة على زواجها ، وكانت سعيدة بزواجها بماتيو ، وسارت على دربه بالسهر والحفلات والأصدقاء والمال ، وعادت لها روح الحياة كما تقول ، وغرقت بترف ومجون ماتيو حتى أنها فكرت بترك البنك وترك العمل ؛ ولكن الأصدقاء قالوا لها : الحياة المرحة تبدأ عادة في الليل . هذا ما دفعها لعدم تقديم استقالتها ، وفكرت بعمل مشروع خاص لتكون حرة في الذهاب والرحلات ، ودخل حياة زوجها أصدقاء وصديقات جدد واغلبهم من الأجانب الطليان وسبب ظهورهم في حياته امتلاكهم سيارات إيطالية والمانية للحياة العادية ولسباق السيارات والراليات سباق السيارات وقد تخصص في استيرادها أو التوصية عليها حسب طلب الزبون ، حتى كانت ليلة جاءت فتاة لم ترها من قبل لبيت ماتيو ليلا فلم يكن في البيت وجلست مناية معها في انتظار ماتيو وقالت لها بالإنجليزية : أنت أول مرة أراك !

قالت الضيفة : صدقت أنا حضرت من روما منذ أيام لمقابلة عشيقك ماتيو

توترت مناية للوقاحة ووصفها بالعشيقة وقالت بجفاء واضح : ماتيو زوجي وليس عشيقي نظام الخليلات عندكم في روما وأمريكا أسمعت ؟

ـ أوه ! تزوج مرة أخرى .. أنت زوجة ظننت انه بعد مقتل زوجته لن يتزوج من جديد

ـ أنت لا تعرفينه حق المعرفة !

قالت : أنا سانديا .. أنا اعرفه من قبل أن يأتي وطنه العربي .. كنا أصدقاء حانات في روما وجنوة

قالت دهشة : أصدقاء حانات !حسبتك قريبة لأمه .

ـ ألا تذهبون للحانات هنا ؟

ـ بل نذهب .. فالخمر حياة ماتيو حتى صرت أتنافس معه في الشراب سأحضر لك كأسا قبل مجيئه

فلما قامت مناية لإحضار شراب الضيافة قالت الزائرة : ألك عشيق ؟

صرخت في وجهها : عشيق !يا لك من قليلة الأدب ! لا .. لا ، لست مغرمة بالرجال مثلك كما يبدو من أخلاقك .. تزوجت مرتين من قبل وماتيو الثالث .. ليس لي عشاق مثلك

ـ لديّ صديق اذا كنت ترغبين بالتغيير

ـ التغيير .. أنت لماذا أتيت البيت ؟

ـ جئت إلى صديقي القديم بمهمة .. الم يحدثك عني ؟

أقبلت الخادمة بالشراب حسب طلب مناية ولما قدمته للزائرة قالت : ممكن انقل له المهمة .. أنا مستعدة لذلك ما هي المهمة ؟ لا يحسن بي أن اجلس معك واسمع لكل قذرتك

ـ لا ، هي مهمة خاصة .. قد يغيب عنك بسببها ردحا من الزمن سيسافر وتحتاجين لعشيق

ـ خارج البلد المهمة ! مهمة ماذا ؟

ـ اذا احتجت لرجل خلال السفر الطويل اتصلي بماريا

ـ موظفة السفارة والمخدرات!

قالت ساندبا : موظفة السفارة أتعرفينها ؟

ـ اعرفها عن طريق ماتيو

جاء ماتيو البيت ، وعانق الفتاة بقبلة فموية أمام زوجته ورحب بها وقال : كانت عشيقة قبل حضوري للوطن يا مناية ربما كانت أولى العشيقات

فقالت : فهمت ذلك من كلامها السيء والقبيح

ـ أغضبك لسانها إنها قليلة الأدب ابنة ملاهي روما وعموم إيطاليا كل فترة تنتقل لمدينة كبيرة

وأحضرت مناية الشراب من جديد وسمعت الفتاة تسأل زوجها : لماذا تأخرت ؟ألسنا على موعد منذ هبطت في المطار ؟

ـ التقيت بصديق مثلك .. حتى وقع في ظني انني ما زلت في روما العريقة ..كيف تركت الأصدقاء ؟ فأنا ارحب بهم في بلد أبي كما كنت أرحب بهم في بلد أمي

ـ يرسلون التحية وأبارك لك الزواج الجديد .. هذه الرسالة لك وأخرجتها من حقيبتها الصغيرة تناولها وفتحها وقرأها مرات " ماتيو يعثنا لك طلبا مهما مع سانديا .. اسمع منها " وسلمها لمناية

وقال : ما هي هذه المهمة ؟ لم افهم الرسالة جيدا

قالت سانديا : ستسافر أمريكا أولا ثم الأرجنتين لمقابلة تاجر مخدرات سيصلك عنوانه وأنت في نيويورك

ـ وماذا افعل مع تاجر المخدرات وأمريكا ؟

ـ لن تشتري مخدرات يا حبيبي زوجتك تفهم إيطالي

ـ لا اعتقد ؛ ربما بعض كلمات متى السفر ؟

ـ خلال أسبوع من الآن .. سأعطيك عنوانا في نيويورك .. وهناك سيعطونك عنوانا في الأرجنتين . . لن تحمل مخدرات اطمئن ستنقل له رسالة .

التفت لمناية التي تحاول استيعاب الأمر ، ثم كلمها بقصة الرحلة ،وبينت رغبتها وحماسها بمرافقته ، فاعتذر لها ؛ لأنها رحلة خطيرة سيقابل فيها تاجر مخدرات أرجنتيني وانقل له رسالة خطيرة مقابل مبلغ كبير من المال ، وشرح لها أن هذه مهمة كان يمارسها أثناء حياته في روما وحتى لما سكنت في هذه البلاد ، فاستغربت زوجته هذه الوظيفة والبريد ثم لزمت الصمت ، وبعد شرابها الفتاة لكأسها ودعتهم وانصرفت وهي تعده بزيارته في مقر عمله ،ولاحظت مناية الضيق على زوجها من حكاية السفر المفاجئ لأمريكا والأرجنتين

***

السفر لم يكن غريبا وجديدا على مناية فهي قد رافقته مرات بعد شهر العرس ولا يكاد يمضي عليه شهر ولم يغادر السوار ، ولكنها كانت سفرات قصيرة قد تمتد على الأكثر لأسبوع واحد واحيانا يتركها ليومين أو ثلاث بحجة ترتيب صفقة عمل ، فهو يحمل اسم رجل أعمال في المجتمع المحلي ؛ لكن الرحلة لأمريكا ثم الأرجنتين وقد يمكث شهورا وبدونها فهذا ما ادهشها إلى حد كبير ومزعج لها في البداية ، فكان بينهما جدلا لعدة أيام حتى حان موعد السفر وأرسلت له التذكرة ومصروف الرحلة فسكتت على مضض ، كان يتصل بها يوميا أول أسبوع ثم كل أسبوع مرة ، ولما يسألها يسري شقيقها عن السبب لهذه الرحلة الطويلة قصت عليه قصة سانديا ، ووضح لها ماتيو انه يقوم لهم بالعمل الخاص ونقل رسائل خاصة من أيام حياته في روما ويأخذ مقابل ذلك مبالغ لا يستهان بها ، فتعجبوا من هذه الحكاية الغامضة وسأل يسري اصف عنها فقال له : هذا عمل سري خاص به وهو نقل رسائل سرية يكلف بها ويتكسب منها من قبل الحياة في البلاد ؛ وليس لها علاقة بتجارة المخدرات ، فهو كان يشتري من فرجينيا سابقا ثم من ماريا لاحقا . وقال مضيفا ومتكهنا : ربما لها علاقة بتجارة الأسلحة ، وما هو إلا مراسل لا خطر عليه منها . فاقتنع يسري مكرها وهو يستغرب هذه اللعبة الغامضة وقد شغلته بسبب عمله في الشرطة سابقا ، وقال لنفسه : هؤلاء الأجانب لهم أعمال لا يفهمها الإنسان !

وكانت أمها وأخوتها يترددون عليها في العطلات وفي المساء بعد رجوعها من البنك مكان العمل لتسليتها والسهر معها ، إن لم تذهب للسمر والسينما أو المسرح وصالات الموسيقى مع الأصدقاء قبل الزواج ، وكانت ترفض دعوات زملاء ماتيو الطليان ، خشية أن تقع في فسادهم كما حصل مع زوجته السابقة من كثرة اختلاطها ، وكلما يسأل الأخوة والأصدقاء عن سر هذا الغياب تقول : جاءته امرأة من روما وكلفته بمهمة خاصة بأمريكا والأرجنتين ، ولم يكشف لها المهمة سوى أنه سيقابل تاجر مخدرات أرجنتيني وينقل له رسالة من روما .. ولماذا هو ؟ فتقول كان يقوم لهم بهذه المهمة قبل مجيئه للبلد.. وحتى عندما تواصل شقيق مناية مهندس العقارات

مع واصف لم يفده بشيء واخبره بمثل ما اخبر يسري التاجر انه لا يعرف شيئا عن حياته الخاصة بروما إلا الخلاعة والحانات ، وبدأت علاقتي به بسبب القرابة والسعي لعودته لوطنه والاهم التجارة والاهم انه شريك برأس المال ، ولا دخل له في إدارة العمل معه ، فهو يدير شركة تجارة السيارات منذ استقر في البلد .. فتفهم فوزي كما تفهم يسري ذلك ، وبين واصف انه لا يتاجر بالمخدرات وانه يتعاطى القليل من الحشيش الذي توفره لنا فتاة السفارة في كل سفرة لبلدها

كان التاجر يسري يوما هو وزوجته وأمه في بيت مناية ، وكانت ليلتها تجلس وتعمل في مكتب زوجها فقادتهم للجلوس في المكتب ، فهي تتابع عمل وإدارة ومحاسبة شركة السيارات بالنيابة عن زوجها ، وكانت أول مرة لهم منذ تزوجته أن يدخلوا مكتبه المنزلي ؛ لأن استقبالهم كان في العادة يتم في صالون البيت وغرفة الاستقبال وحفلاتهم ومناسبتهم الاحتفالية والاجتماعية في المطاعم الخاصة أو صالات الفنادق ، والمثير في المكتب سوى الديكور الرهيب في المكتب والأثاث المستورد من إيطاليا وجود عدد من الصور المكبرة والمعلقة والمؤطرة على احد الجدران كأنها لوحات فنية ؛ وهي عادة غربية بتعليق الكثير من الصور واللوحات الفنية على جدران البيت ؛ وإنما هي كما ادركوا صورا لماتيو والعائلة ، فأخذ يسري وزوجته يتأملون في الصور المكبرة كلوحات فنية إيطالية ، فكانت صورا لوالده باهر ولأمه الإيطالية ريتا ، وبعض خالاته وشقيقتيه وأعمامه العرب ، والذي أثار اهتمامه اكثر صورة له مع أمه وخالته لارا كما فهم من مناية صورة تزيد عن نصف متر طولا وبعرض ٤٠ سم تأملها يسري جيدا وقال لأخته : هذه امه وتلك خالته لم تحضرا حفلة العرس .

ـ هذه صورة لهم في مدينة البندقية الشهيرة في إيطاليا فهي تعيش فيها كما فهمت منه تعيش بين البندقية وميلانو

ـ ولها صورة مع زوجها ؛ كأنه طيار إيطالي ذكر ماتيو ذلك مرة .. طيار عسكري

ـ أجل عسكري ! لقد استفسرت منه عن كل هذه الوجوه .. عسكري كما في الصورة ، وهو قد خدم في حلف الأطلسي وهو من اصل أمريكي التقى بخالته أثناء دورة في أكاديمية في

إيطاليا بداية .. ثم التقى بها في مستشفى للحلف بإيطاليا ..تعمل هي في مستشفى تابع لحلف الناتو وأحبا بعضهما وتزوجها كما اخبرني بقصة حبهما بعد تعرضه لحادث في القاعدة الجوية التابعة للناتو

هز رأسه وهو يسمع وقال هامسا : امرأة جميلة !

ـ طليانية فأمه طليانية اسمها ريتا تعرف عليها أبوه لما هاجر أو هرب إلى أوروبا ، وكأنها عسكرية أو طبيبة نسيت ما تعمل في المستشفى أيام أبيه ، واما خالته لارا عرفها في مستشفى حلف الأطلسي في إيطالية حيث كانت تعمل فيه وقد تعرض الطيار الأمريكي لحادث وادخل المستشفى ولما شفي تزوجها

ـ زوجك قال لك ذلك

ـ أكيد سمعته يتحدث عنها وعن زوجها الطيار الأمريكي، ثم أصبح مسئولا في القاعدة العسكرية .. انتم أول مرة تدخلون هذه الغرفة أو هذا المكتب .. كل هذه الصور خاصة به وبأسرته واهم الناس في حياته

قال يسري : نعم هذه أول مرة ندخل هذا المكتب بسبب انشغالك وقعودك هنا .. لهذه الطيار قصة قرأت عنها لذلك دهشت من وجودها في بيتكم

ـ وجودها هنا بسبب انه زوج خالته ولم يتحدث عن قصة له سوى قصة زواجه من خالته

***

لم يكن شقيق مناية يسري ضابطا متقاعدا وتاجرا فقط كما عرف نفسه لماتيو وابن عمه اصف بل كان ضابطا في الأمن السري واستخبارات البلاد ، وهو أمام الناس تاجر فبعد الحادث الخطير تحول لجهاز الأمن السري ، وأمام الناس تاجر وصاحب شركة استيراد ، وقد اهتم بصورة خالة ماتيو المعلقة على جدار مكتب ماتيو وصورة زوجها الطيار الأمريكي فقد قرأ عن تعاونه مع المخابرات السوفيتية قبل انتهاء ما يسمى الاتحاد السوفيتي ، فطلب من الأجهزة السرية الاهتمام بهذا الرجل امنيا مما ادهش المكتب السري لجبل السوار ، وكانوا في شوق لرؤية

ماتيو ومراقبة أنشطته بعد هذه الإشارة ، وإليك بعض التفصيل والسبب أن انتشر قبل سنوات عن اعتقال هذا الطيار والإداري في قاعدة الناتو الكائنة في إيطاليا ، وقيل بأنه قدم خدمات سرية كعميل للاتحاد السوفيتي هو وزوجته الإيطالية لارا غابرييل فوالدها شيوعي معروف في الوسط الاشتراكي في إيطاليا ، ونشرت بعض مجلات العالم المهتمة بقضايا الجاسوسية مقتطفات من عمالته للروس ، ودار شك كبير حول زوجته بأنها شريكة له في أعماله بسبب وجودهم في قاعدة الناتو العسكرية ، ولم يتعرضا للسجن لعدم ثبوت ذلك بالأدلة القطعية ، واكتفوا بتقاعده وكذلك زوجته لارا ، وكان يسري بحكم وظيفته السرية مطلعا على تلك القصة وتعجب أن يكون ذلك المشتبه به زوجا لخالة ماتيو ، وطلب من دائرته متابعة قضية مقتل زوجة ماتيو سندرة كلف ؛ لعل قتلها الغامض والغريب كان له علاقة بعالم الجاسوسية بما أن البوليس عجز عن إيجاد دافع للقتل والاغتيال ، وبعد رجوع ماتيو وضع تحت المتابعة الأمنية للتأكد من سلامته من الجاسوسية .

***

وبعد شهور من المتابعة الأمنية التي لم تسفر عن شيء مهم ، وكان هناك عجز عن ملاحقته في سفرياته التي لا تكاد تنتهي ، فقد اضطروا إلى تجنيد الزوجة للعمل معهم لمراقبة ماتيو ، وقد بينوا لها شكهم بعمالة ماتيو وانه يخدم أجهزة مخابرات دولية ، حتى صدقت الاتهام وأنها تزوجت جاسوسا خطيرا ، كانت الزوجة قلقة من حياة زوجها خاصة بعد غيابه ورحلته الطويلة إلى أمريكا والأرجنتين وغموض تلك الرحلة التي استغرقت اشهرا ، ولم يفصح عن الكثير من المعلومات قبل وبعد الرحلة ، ولاحظت زيارة بعض الأجانب له في أوقات غريبة قرب منتصف الليل وحجبها عن تلك اللقاءات حتى أنهم زرعوا فيها أجهزة تنصت واقنعها جهاز المخابرات بعمالة زوجها الذي يحمل الجنسية الإيطالية ، فبدأت تهتم بمن يزوره وبمن يرافق حسب تعليمات الأمن ، ولاحظ ماتيو اهتمامها بخلواته في المكتب وكثرة دخولها المكتب وبعبثها في المكتب فداخله الريب من تصرفاتها ففاتحها بما خالج نفسه من تصرفاتها المريبة ،حتى

اضطرت أن تعترف له بتجنيد المخابرات لها بمراقبته وانهم بعد سفره وغيابه الطويل إلى أمريكا الجنوبية لزمهم الشك في عمالته لجهات مخابراتية فأصابته صدمة منها وتعاونها معهم دون حياء أو خجل ، وتعذرت بإجبارها على مراقبته وقال بعد أن أدلت باعترافها القبيح : وماذا وجدت ؟ لعلهم فتشوا المكتب فقد اكتشفت فيه عبثا ظننته في الأول منك .. ليس لي علاقة بضباط وعساكر هنا ، كل رفاقي أجانب ..وماذا يوجد في هذه البلد غير معروف لمخابرات العالم المهمة ؟.. فعندما تشتري بلدك بندقية يذهب ملفها للسي أي ايه وموساد إسرائيل ..

قالت مبررة : لقد قلقت جدا من ذهابك لمقابلة تاجر مخدرات حتى التقى بي رجل امن سري وحدثني عن شكهم فيك وكثرة سفراتك منذ تزوجتك ؛ بل أنت مرصود منذ موت زوجتك الأولى كما فهمت منهم

ـ قلت لك لما حضرت سانديا هذا عمل نشطت به قبل استقراري هنا وفيه مكسب كبير

ـ أنا لي قريب في المخابرات هو الذي شك فيك ، وطلب مني التعاون لما علم أن زوج خالتك اتهم بالعمالة للاتحاد السوفيتي وكذلك خالتك لارا

ـ انتهت العلاقة بيننا ما دمت صرت جاسوسة عليّ حتى ترتاحي من مراقبتي ونقل أخباري لشقيقك ضابط المخابرات المتخفي بتاجر

ـ أخي كان شرطيا وتعرض لمحاولة قتل أثناء العمل فرجوه .. أنا صارحتك لتقطع عملك مع الجهات التي جندتك

ـ لو كان قريبك أو شقيقك يعلم انني عميل أو جاسوس فلماذا جندك يا ساقطة ؟ هل اكتشفت شيئا في هذا المكتب تقدميه لقريبك الحقير ؟ أنا مسافر لقبرص قريبا أترغبين بالسفر معي ؟

فرفضت السفر وخشيت على حياتها كما حصل لسندرة وفضلت الطلاق فقال : جيد عندما اقضي المهمة في قبرص سيكون الطلاق كما شئت .

ولما سافر ورجع حصل الانفصال كما رغبت ، وبعد انتهاء إجراءات الطلاق التقى يسري باصف وحدثه عن قصة الطلاق ثم قال : يا صديقي العزيز هل لابن عمك علاقة بأجهزة

المخابرات العالمية ؟

كان اللقاء في مقهى في وسط المدينة بطلب من يسري كان اصف يشرب الشاي الأسود ويدخن ثم قال : لم اسمع صدق كان عمي والد ماتيو هنا قوميا شيوعيا ولما هاجر عرفنا انه كان عضوا في الحزب الإيطالي الاشتراكي التابع للاتحاد السوفيتي وماتيو كان صحفيا قبل العمل في التجارة وعرفت منه قصة خالته وزوجها والاشتباه بعملهما مع الـ كي جي بي المخابرات الروسية الخارجية وذلك ضمن الحرب الباردة بين الشرق والغرب كما يعلم الجميع .. أما هل هو جاسوس أو عميل لم الحظ ذلك ؟ لم الحظ أنه طلب مني معلومة سرية لجهة ما .. كثير السفر هو يقوم بمهمات خاصة وسفريات خاصة تارة لعقد صفقات شراء سيارات وتارة لعمليات تجارة الأسلحة السرية .. هو مجرد بريد ونقل مكان اللقاء للمتابعين مقابل سمسرة واعتقد أن العمل هو لصالح زوج خالته مارك ؛ كأنه لم طرد أو تقاعد تعلم هذه الحرفة .. وربما يكون بيع هذه الأسلحة لعصابات في أمريكية اللاتينية عصابات مخدرات هذا سمعته مرة منه .. وصراحة هل من شيء يتجسس عليه في وطننا هذا ؟

ـ لابد من وجود شيء للأشباه به ؛ لكنهم يكتشفوا شيئا كما علمت من بعض أصدقاء الأمن

ـ أخطأت أختك مع احترامي لكم بقبولها العمل عميلة عليه ، فقد غضب منها جدا وقال بعد قبرص سيحصل الطلاق .. هذا ما اعرفه عنه .. واعلم بصراحة انك تعمل مع الأمن يا يسري معارف لك نبهونني انك بعد الحادث الذي تعرضت له تحولت للأمن المخابراتي وهذا شأنك ونحن يربطنا كما تعلم العمل والتجارة ..فهل بقي في قلبك شيء ؟

ـ لا شيء .. هل له علاقة بمقتل سندرة ؟

ـ أي علاقة ؟! الشرطة تأكدت انه لم يذهب جهة تلك الغابة ذلك النهار وكان بعد الظهر يتناول الطعام في مطعم قريب سينما الخزنة فهو من المدمنين على مشاهدة الأفلام الأمريكية وليس مطلوبا منه عندما يدخل السينما أن يعرف الناس انه يحضر الفيلم

ـ واعتذاره عن الدوام في الشركة

ـ شركته يا يسري ..هو لماذا وضع فيها أربعة موظفين وفراش .. وهو كثير السفر منذ استقر في وطنه الذي لم يولد فيه

***

اقتيد ماتيو للتحقيق بالاشتباه بأنه يعمل لصالح جهات معادية للبلاد ، واتهم بقتل زوجته الأولى بالتواطؤ مع جهات روسية ولم يثبت عليه شيء، ولكنهم طلبوا منه الرحيل .. فقضى أياما يرتب أموره ، وقبل الرحيل التقى بابن عمه اصف الذي كان يساعده أثناء التحقيق مع محامي دولي استدعاه ماتيو ولما غادر المحامي البلاد التقى الرجلان وقال : لقد طلبوا مني الرحيل يا صديقي العزيز وقل لأعمامي والأهل ذلك وبالتأكيد لن أعود للبلد كما حصل لأبي رحمه الله

ـ لا مجال للبقاء

ـ خلاص .. هم مقتنعون أن لي يدا في قتل المرأتين وإن لم أشارك بنفسي

ـ أصدقني القول يا أبا ريتا بها انك مغادر للابد

ـ أنا لا يد لي في مصرعهما صدقا ؛ لكني اكشف لك أمرا أو سرا سواء صدقته أم لا .. أنا أعرف السبب لمقتل سندرة والأخرى قتلت ؛ لأنها كانت رفيقة معها والقتلة من روسيا

ـ وهل تعلم لماذا قتلت سندرة ؟

ـ أنا اعلم يا واصف ، سأقول لك واحتفظ بالسر حتى لا يصيبك أذى .. فقد جندت للعمل مخبرة وعميلة لحلف الناتو عندما كانت تتعلم اللغة الإيطالية في المركز كما تذكر .. سعى احد معلميها اسمه مارسيل لتجنيدها كمخبرة لما علم أنها عملت صحفية في الجهاز العسكري فأرسلها لإيطاليا لتقابل ضابط امن أمريكي لتعمل عميلة لهم في روسيا الاتحادية لتنقل مراسلات من روسيا إلى هنا ثم تنقلها لضابط الأمن في سفارة إيطاليا ؛ ولعلك فهمت لماذا بدأت تتردد على مجمع الحزب الماركسي ومرافقة جيتا وسالا إلى مؤتمرات الاشتراكيين في أوروبا وأنا علمت ذلك من خالتي التي لها علاقة قوية بالروس هي وزوجها كما تذكر وقلت لك ذلك قديما فما كان مني إلا أن اصمت حتى لا اقتل مثلها وكان تلفونها مخترقا

ـ لذلك لم تكن مكترثا لموتها لأنك تعلم سبب الجريمة
ـ كنت اعلم وتحت الخطر ، ولا دخل لي فيها أنا علاقاتي شخصية مع خالتي فقط بنقل الرسائل مقابل المال.. لم اذهب لموسكو ولا مرة في حياتي وانا جئت أصلا هذه البلاد هاربا من نقل الرسائل السرية ؛ ولكنهم لحقوا بي وصعب عليّ الخلاص منهم .. فلما سقطت سندرة بشبكتهم وعملت معهم اكتشف الآخرون عملها وصعب عليّ طلاقها خشية على حياتها فاصبحنا نحن الاثنين في خطر فتخلصوا منها رغما عني يا اصف .
ـ هل اعترفت لك بتجنيدها ؟
ـ لا ، لكن شباب المركز ذكروا لي اكثر من مرة أن مارسيل رجل أمن بوظيفة مدير المركز الثقافي ونبهوني لذلك ، وهم ادركوا سبب اغتيالها ؛ ولكنهم لا يستطيعون الجهر بذلك خشية على حياتهم فهم أبناء المركز منذ زمن بعيد .. هي قتلت نفسها بنفسها أنت تعلم أن المشتغل بمثل هذه المؤسسات يلزمه الخطر طول حياته .. ولما قتلوها كشفت لي خالتي السبب كما قلت لك
ـ مرة ذكرت لي رندة المحامية أن الدكتور جوزيف السويدي زارك زيارة غامضة
ـ صحيح وكانت هي السبب هو رأس في المخابرات الروسية أو مكافحة التجسس منذ أيام الاتحاد السوفيتي يا صاحبي جاءني ليلة وصارحني بأن سندرة تعمل لصالح مخابرات حلف الناتو .. قبل أن تخبرني خالتي لارا
ـ هم قتلوها وكيف عرفوا بأمر الإجهاض والمستشفى ؟
ـ المراقبة والمتابعة والتلفون الموبايل ؛ وربما عن طريق الطبيب خوص ، ولم يكن الموضوع سرا المهم دير بالك على حالك من إفشاء هذا الكلام ..أنا لم اقتل سندرة .. فهي أم ابنتي واحب أن أعلمك أن الدكتور جوزيف تعرض لمحاولة اغتيال في النرويج ونجا منها

***

وقد كلف ابن عمه بتصفية شركاته وفصل أمواله معه وقال : انتهت حياتي في وطني ولن أعود إليها كما فعل أبي .. وعندما تنتهي من تصفية الأموال وبيع وكالة السيارات حول لي الأموال

على بنوك روما وأنا في استقبالك وقتها تشاء في روما .. وقد علمت بمقتل جوزيف في السويد لا ادري هل كشف أمره للمخابرات الغربية أم الروس تخلصوا منه ؟

ـ لا اعلم كيف سقطت تلك الفتاة في براثنهم ؟

ـ سقطت لأنها باعت جسدها لهم فأصبحت فريسة سهلة للعمل معهم .. أنا تألمت لمقتلها جدا لكن ليس بيدي منع ذلك فأنها ماتت وهي لا تتعلم أنني اعلم بعمالتها لأمن الناتو

ـ رحمها الله رحمها الله .. لم تتحدث لأختها بشيء البتة من ذلك ؛ لأنها كانت مقتنعة بموتها منذ حدث الاختفاء أتراها كانت تعلم شيئا ؟!

قال : ما هذا شرط العمل معهم ؛ لكن زياراتها لروما وسهراتها هناك أوقعتها وكشف أمرها للمخبرين

ـ إلى اللقاء يا أبا ريتا أتمنى لك السلامة .

تمت قصة سندرة

المحتويات

• سندرة وجيتا •

ولد في روما وعاش فيها وتربى فيها

رغب بتنفيذ وصية أبيه بالعودة إلى جبل السوار

وأراد أن يكون ابنا للمدينة بحق وابن للعائلة وتزوج سندرة

ولما حدث الحمل اصر على موت الجنين

فحدثت الجريمة الغامضة



التحقيق الجنائي والجريمة